ISSN 2347-2456 Regd. No. LW-NP/64/2012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)
Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 59 Issue:07 February 2014

إصدارات حديثة :

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

المجلد ٥٩

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن – المجلد التاسع والخمسون – جمادى الأولى ١٤٣٥هـ مارس ٢٠١٤م

- العلوم التي يشتمل عليها القرآن
- **الإسلام ، الملجأ الأخير !**
- من المجابهة إلى الدعوة والبلاغ
- أبو الحسن علي الحسني الندوي وجهوده في الفكر والدعوة
- **الوسوسة وعلاجها**
- يوميات معتقل
- **اليوم العالمي للغة العربية**
- دور رسالة الغفران في قضية التراث

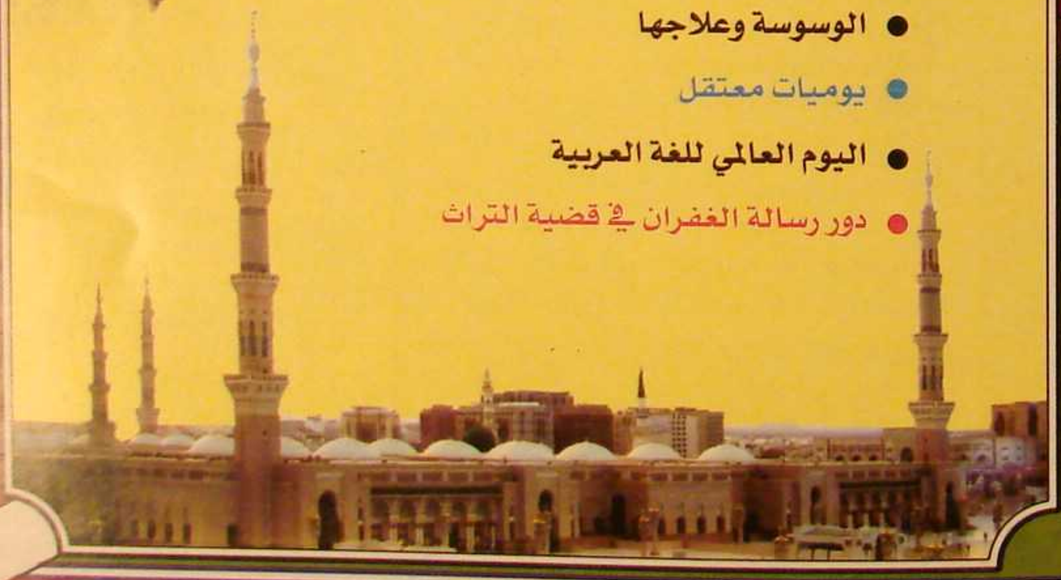

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221 E-mail: albaas1955@gmail.com, nadwa@sancharnet.in

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٥٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن – المجلد التاسع والخمسون – جمادى الأولى ١٤٣٥هـ مارس ٢٠١٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة ٣٠٠/٠٠روبية

ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الثامن – المجلد التاسع والخمسون – جمادى الأولى ١٤٣٥هـ مارس ٢٠١٤م

الافتتاحية :		
الإسلام ، الملجأ الأخير	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي :		
العلوم التي يشتمل عليها القرآن الوسوسة وعلاجها	سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي	٨
	الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي	١٥
"الخنزير ومساويه"	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٢١
الدعوة الإسلامية :		
يوميات معتقل !	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	٢٦
اليوم العالمي للغة العربية	الدكتور ثمامة فيصل بن أبي المكارم	٣١
دراسات وأبحاث :		
شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية	الدكتور غريب جمعة	٣٦
دراسة تحليلية نقدية لستة كتب أردية في السيرة النبوية	الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي	٤٢
دور رسالة الغفران في قضية التراث	الأستاذ نور الزمان الندوي	٥٢
من رجال التاريخ والادب :		
أبو منصور الثعالبي (٣٥٠هـ – ٤٢٩هـ)	الدكتور فردوس نذير بت	٦٣
أبو الحسن علي الحسني الندوي وجهوده في الفكر والدعوة	الأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي	٧٢
أحمد عبد الغفور العطار هو أول من قسم المعجمات العربية إلى أربع مدارس	الأخ الأستاذ محمد عالمغير	٨١
صور وأوضاع :		
من المجابهة إلى الدعوة والبلاغ	الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٨٨
من كنوز القرآن الكريم :		
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩١
إلى رحمة الله تعالى :		
الأمير بندر بن محمد بن عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٦
فضيلة الشيخ عبد السلام الرحماني في ذمة الله تعالى	" " " "	٩٦
الأستاذ السيد إبراهيم الحسني الندوي في ذمة الله تعالى	" " " "	٩٧
رحيل السيد عشرت علي الصديقي إلى رحمة الله تعالى	" " " "	٩٨
الحاج علي أحمد خان إلى رحمة الله تعالى	" " " "	٩٩

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام ، الملجأ الأخير ؟

موجة الاهتداء إلى دين الحق والأخير في العالم كله عارمة ، إلا أن شدتها في الغرب أعرم ، حيث يبحث الناس عن ملاجئ لإسعاد حياتهم بعد ما طال شقاؤهم في البيئات التي عاشوها ، وفشلت التجارب التي أجروها في مجال الحياة والمجتمع ، ولم يتركوا شيئاً من الحضارات المادية والنظريات الوضعية والفلسفات الدينية إلا وقد مارسوا ذلك بعمق وتفصيل وبطريق عملي ، وتعمقوا أغواره ولكن قلما اطمأنت نفوسهم إليه ، وشذ ما وجدوا ضالتهم فيما كانوا ينشدونه من عيش مطمئن يقنعهم في ممارسة شئون الحياة بمجالاتها المختلفة وحاجاتها المتعددة ، الفردية والجماعية ، حتى لا يروا بعد ذلك حاجة ما إلى شيئ آخر ، وتكون الحياة نموذجاً أمثل لحياة سعيدة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً .

ظل الناس في كل بلد يتطلعون إلى هذه النعمة الدينية والدنيوية المزدوجة فيصيبون منها ما يشاءون بقدر ظروفهم ، وقد أفادتنا الأنباء العليمة بأن بعض الجمعيات الإسلامية في بلدان عديدة على مستوى القارات تستقبل عدداً يترى ممن يتوخون الدخول في الإسلام بعد ما سيطر عليهم اليأس من مستقبلهم مع البقاء في الطريق الذي سلكوه سابقاً فلم يغن عنهم شيئاً ، وذلك بالرغم مما يعوق طريقهم نحو الإسلام والالتزام بتعاليمه ، الإعلام الغربي المعادي ويؤجج نار ظاهرة "الإسلاموفوبيا" وسط الشعب المحايد الذي يرغب بإلحاح في الاهتداء إلى الإسلام وجني ثمار الشريعة السماوية الأخيرة فيما بقي له من العمر ، إلا أنه يجد نفسه محاطاً بعوائق تُفرض عليه من جهات ذات سلطة ، ممن يعادون الإسلام ويفزعون من موجة الاهتداء العارمة ويخافون مما إذا كثر عدد المسلمين في بلادهم فماذا سيكون مصيرهم ، وقد تصدى هؤلاء المناوؤن بإيجاد أساليب سخيفة للتخويف من الإسلام والمسلمين .

إن هذا النشاط الديني للانجذاب إلى الدين الإسلامي له عوامل

عديدة وأسباب ذات تأثير قوي ، ومنها دراسة حياة المسلمين فردية ، حيناً في الأخلاق العالية والسلوك الجميل ، والمعاملات النزيهة البعيدة عن كل تفاعل ذاتي محصور بين النفع المادي للذات ، وإن كان أخوه في أشد حاجة إلى مد يد التعاون إليه من غيره ، وحيناً آخر مطالعة القرآن الكريم ، ودراسة سيرة النبي ﷺ ومشاهدتهم الصور الجماعية في الجمع والأعياد وفي الصلوات الخمس مع الجماعة في المساجد وابتعادهم عن تعاطي الخمر والمسكرات بتأثير من القدوة التي يمثلها دعاة الإسلام وعلماؤه ، والمسلمون المثقفون المقيمون في الغرب أو الزائرون للغرب ، ممن يعيشون صورة للإيمان بالله ورسوله ﷺ ولحياة عملية جذابة للآخرين .

ففي عديد من مدن الولايات المتحدة وكندا ، شباب الغرب المنحرفون والمعربدون صادفتهم جماعات من الشباب المغتربين أو المهاجرين إليها والموظفين في المؤسسات والجمعيات الإسلامية أو غيرها ، الذين أصبحوا عاملاً أكبر لشباب الغرب للتقرب إلى دعوة الإسلام ورؤية سلوكيات الدعاة من كثب ، وإزالة سوء الظن بهم والخوف منهم ، ومعرفة ما هو في صالح حياتهم التي تعودوها ، والعلم بماذا يعني الإسلام ، وما هو غرضه من العالم البشري ؟! الواقع الذي أثار عالم الشباب في الغرب لتجسس محاسن المسلمين فضلاً عن توجس الخيفة منهم ، فقد جاء فيما نشرته مجلة المجتمع الكويتية في عددها ٢٠٦٦ الصادر في شهر ديسمبر ٢٠١٣م بقلم (إسراء البدر) الذي يتحدث عن "محمد حمو" مدير مدرسة ويبل في القسم العربي في كندا : أن بعض وسائل الإعلام تمارس دوراً كبيراً في تخويف المجتمع الغربي من الإسلام والمسلمين ، أكثر الغربيين يستقون معلوماتهم من خلال الإعلام ، ولم يتسن إلا للقليل منهم معرفة المسلمين وتكوين انطباع حقيقي عنهم عن كثب ، ثم يتحدث عن تجربته لشباب الغرب التي عاشها معهم : "من خلال تجربتي أرى أن الغربيين الذين يحضرون الأنشطة الثقافية والاجتماعية الإسلامية التي تقام في الغرب ، أو لديهم جيران من المسلمين يتفاعلون مع المسلمين وتقل تلك الظاهرة "الإسلاموفوبيا" لديهم" .

من خلال هذا البيان يمكن أن ندرك حس الشباب الغربي عن دين الإسلام وأتباعه ، فهم يزنون الواقع بالعمل والتطبيق ، لا بالكلام والبيان ،

وذلك هو الجانب المهم الذي يتفاعل معهم في مجال الدعوة إلى الدين ، وبه يتكشف عليهم سر تشويه الإسلام وإثبات أن دوره قد انقضى ، وطوي بساطه في العالم الحديث ، ذاك أن الغرب ، إنما يركز في جميع ثقافاته ومداركه ، وفي جامعاته ومراكز التجمع والمجتمعات على تشويه التاريخ الإسلامي وتحقير علماء الطبيعة والعلوم ، الذين أسدوا إليه بالمنن والمعارف في جميع مجالات الحياة مما لا ينكره التاريخ العالمي البشري ، فهم الذين أيقظوا أوربا من سباتها وغذوها بالعلوم والمعارف ، والسلوك الرفيع والخلق الإنساني ، وأكدوا لها قيمة الإنسان ودوره في بناء العالم المتطور .

ورغم أن زعماء الغرب والمتبوئين أعلى مناصب الحكم والسياسة العالمية ، يتخوفون من قدوم الإسلام وسيادته على الحياة والمجتمع ، بما يرونه من انطلاق موجة الأسلمة في الغرب بالذات ، والتوجهات العظيمة نحوها في جميع الطبقات ، ورغم ما يكيدون ضدها ويتآمرون على وقف هذه الموجة العارمة بإخراج هيبة و واقعية الدين الإسلامي ، حتى من قلوب المسلمين في الشرق والغرب ، يواجهون الخيبة ولا يملكون من الوسائل ما يجديهم نفعاً ، إلا أنهم مستمرون في ذلك بأساليب شتى ، وتسريب أفكار مريضة إلى نفوسهم وتخدير أعصاب الشباب بتوفير لذات ومنكرات بأشكال جميلة لهم ، ولا ريب أن الناس في العالم الإسلامي وفي العالم الثالث وفي بلدان الأقليات المسلمة وقعوا فريسةً لمثل هذه السوءات والأمراض إلى حد ، ولكن الصحوة الدينية تحميهم من الوقوع في حبائل المفترسين .

وما حدث ويحدث في ميانمار من تضييق الخناق على المسلمين وممارسة أعمال العنف والقتل والتشريد أمام السلطات بل وبإيعاز من أهلها "البائسين" وما يمارسه البوذيون من خرق وانتهاك لحقوق الإنسان فيها ضد الطوائف البشرية يعلمه الجميع ، والذنب في كل ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الناس ليسوا إلاّ مسلمين فقط ، وكذلك في أنجولا إحدى الجمهوريات الأفريقية ، مهاجمة شديدة ضد الإسلام والمسلمين الذين لهم وجود تاريخي من ستينيات القرن المنصرم الميلادي فيها ، وإن كانت نسبتهم ضئيلة ، وقد تم ذلك بطريق جماعة من أهل أنجولا العائدين عن جمهورية الكونغو حيث سنحت لهم فرصة التعارف الإسلامي فجاؤا وهم يحملون عقيدة الإسلام

بشكل محدود ثم كانت الهجرة إليها لمسلمي دول غرب أفريقيا بعد حرب التحرير ، وكانوا سبباً لنشر الدعوة إلى الإسلام ودخول عدد كبير في هذا الدين ، ولعل مدّ الهجرة إليها كان من وجود الثروات المعدنية فيها وبحثاً عن الرخاء الاقتصادي ، ومن أجل وجود عدد لا بأس به من معتنقي الإسلام بنيت هناك مساجد عديدة وأول مسجد كان قد بني في العاصمة (لوندا) .

ولا يخفى ما يجري في أنجولا من خلال الرئيس المسيحي المتعصب لدينه والمناوئ للإسلام ومراكز عبادته "المساجد" التي بناها المسلمون في هذه الجمهورية الأفريقية بدعم سخي من أهل الخير المسلمين في الدول الإسلامية والعربية ، حيث تواجه الجالية الإسلامية والمساجد حملات إبادية وتدميرية من زعماء الكنيسة ، ومن النظام الماركسي السياسي القائم في هذه البلدة ، ثم من العدو الصهيوني الذي يخطط ضد الإسلام منذ تاريخه الغارق في القدم ، فكيف لا تكون هناك مؤامرة ضده ، وكيف لا يُصد المسلمون عن السبيل وقد حققوا نجاحاً كبيراً في مجال التعريف بالإسلام والتمكن من العمل بالشريعة الإسلامية وأحكامها وأعرافها ، مع الاحتفاظ بكامل حقوقهم المدنية ، وشرعية المواطنة العامة .

هذا ، وهناك وجوه لامعة خلاف الوجوه الكالحة ، وجوه الاستبشار بالإسلام بعد ما ظلت باحثة عن الملجأ الأخير الذي تأوي إليه ، وقد وفق الله سبحانه عدداً كبيراً من أصحاب العلم والثقافة والمناصب العالية في الدين والدنيا إلى الوصول إلى الحياة الإسلامية ولبس تاج الإسلام والخروج من حياة اليأس والهموم إلى حياة الأمل والسعادة والشرف والكرامة ، وبالمناسبة يحلو لنا أن ننقل نبذة من قصة رجل كبير وهو رجل الكهنوت الأول في روسيا من خلال حوار أجراه : شعبان عبد الرحمن ، في مجلة المجتمع في عددها ٢٠٦٦ مع ذلك الرجل وقد شرفه الله تعالى بالإسلام بعد ما دام ١٦/عاماً يخدم الكنيسة كأول قسيس فيها ، وظل عضو البرلمان الروسي إلى مدة ، واشتغل في البرلمان الروسي كخبير ديني إلى مدة سبعة أعوام ، كما كان رئيساً لكتلة الشئون الدينية في البرلمان ألا وهو دكتور علي فيتش إسلاف ، وهو يعرف نفسه في كلمة واحدة قائلاً :

(اشتغلت في السلك الكهنوتي ١٦/عاماً قبل أن أعلن إسلامي ، لم

أغير اسمي بعد الإسلام ، فقط أضفت إليه اسم "علي" حتى لا يخاف الروس من الإسلام .

النصرانية في جملتها تتصادم مع العقل الإنساني السليم ، وتطالبه بالتسليم باللامعقول) .

وبما أن قصة إسلام هذا الرجل مثيرة ومفيدة لمعرفة الحقائق الناصعة عن الإسلام والديانات السابقة ، ولتقدير موجة الاهتداء إلى الإسلام في صفوف الطبقات العالية وبين الخاصة والجماهير من الناس ، سوف ننشر حواره كاملاً في العدد القادم ، بمشيئة الله تعالى .

وقد سبق أن البابا يوحنا الثاني من بلدة بنين من غينيا ، كان قلقاً عن قصة ميلاد المسيح ، التي تتحدث عنها الكنائس النصرانية بأسلوب سخيف ، فدرس قصة ميلاده في سورة مريم من كتاب الله تعالى بالأسلوب القرآني المعجز حتى اقتنع بذلك ، وحاول الفرار عن سجن النصرانية الذي كان يعتبر نفسه مسجوناً فيه منذ أمد بعيد ، وقدر له أن يصل إلى السينغال ويلتجئ إلى جمعية الطلبة المسلمين في جامعة دكار ، حتى هدأت العاصفة التي كان قد أثارها بين أوساط النصرانية بسؤاله عن قصة ميلاد المسيح التي جاء في القرآن الكريم .

ورغم أن البابا يوحنا عانى كثيراً من أنواع المعاناة في هذا السبيل إلا أنه آمن واقتنع بما جاء من هذه القصة في القرآن الكريم ، وظل على عقيدة الدين الإسلامي ، وأشهر إسلامه ، وهو الآن يعيش في غينيا حيث استقل كداعية مسلم مطمئن ، ويقوم بجولات دعوية إلى بلدان العالم يدعو الناس إلى دين الله الأخير وتعاليم خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، وهو يتحدث عن معجزة القرآن حول ميلاد المسيح في سورة مريم بكل الاقتناع .

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ❖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ❖ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (سورة مريم الآيات/ ٣٠ – ٣٤) .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٥/٠٣/٠٢هـ – ٢٠١٤/٠١/٠٤م

التوجيه الإسلامي :

العلوم التي يشتمل عليها القرآن

بقلم :سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

علوم القرآن :

قسم الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي علوم القرآن الكريم إلى خمسة ، يقول :

"ليعلم أن المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم :

١- علم الأحكام : كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام ، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات أو الاجتماع أو السياسة المدنية ، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه .

٢- علم الجدل : وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة : اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ، ويرجع شرح هذا العلم وتفريعه إلى المتكلم .

٣- علم التذكير بآلاء الله : كبيان خلق السماوات والأرض ، وإلهام العباد ما يحتاجون إليه ، وبيان الصفات الإلهية .

٤- علم التذكير بأيام الله : وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاماً على المطيعين ونكالاً للمجرمين ، كقصص الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم .

٥- علم التذكير بالموت وما بعد الموت : كالحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار .

ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكر" (١) .

مشكلات القرآن :

وهناك نوع لمشكلات القرآن ، يتعلق بطريق إفهام القرآن وتفسيره ، و يحدث على أساس المقتضيات التاريخية ، نحصر هذه المشكلات في خمسة أبواب :

١- المقطعات .

٢- أقسام القرآن .

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير ص/١٩ .

٣- المحكمات والمتشابهات .

٤- مبحث الناسخ والمنسوخ .

٥- تنوع أساليب القرآن الكريم (٢) .

أوليات القرآن :

فهرس أوليات القرآن الكريم طويل جداً ، فالقرآن أول كتاب في الكتب السماوية ، رسم على ألواح القلوب معاني الإرشاد والهداية ، تولى الله حفظها وبيانها ، فقدم حلاً ناجعاً لجميع قضايا الحياة ومشاكلها ، وأقام المجتمع الإنساني على أساس النصفة والعدل ، والحب الإلهي تأسيساً ناجحاً ، وفتح أمام الإنسانية آفاقاً جديدة للتفكير والتدبر ، وبصرف النظر عن هذه المباحث المهمة نريد أن نتناول تحليل الدكتور محمد إقبال المبني على الحكمة والفكر أن القرآن هو أول كتاب كشف المصادر الأربعة للعلم والشعور والفكر والتأمل ، وألقى الضوء على تفاصيلها ، أي صرح القرآن لأول مرة بالوحي ، وركز على أهمية التاريخ وقيمته ، وقال قولا فصلاً في علم النفس ، فالقرآن هو صحيفة العقل والفهم ، بعث في الإنسان فكرة دراسة الفطرة ، وبتعبير آخر – هذه أربعة عناوين تبرز منها أولوية القرآن على مستوى العقل والفكر :

١- الوحي .

٢- التاريخ .

٣- علم النفس .

٤- دراسة الكون

هذه ينابيع أربعة للعلم والحكمة ، تترتب منها خطة الحياة العملية بالنظر إليها ، فمن استفاد منها بقي حياً يرزق ، ومن أعرض عنها أصيب بالذلة والهوان (٣) .

فكرة التأمل في الظواهر الكونية في القرآن لتقوية الإيمان :

أعظم مزية للقرآن الحكيم أنه يبعث النوع البشري سلباً وإيجاباً على دراسة ومشاهدة الظواهر الكونية ، واستعراضها بالتفصيل ، ويدعو أيضاً إلى دراسة منتظمة لنشأتها ونظمها ، والتوصل إلى الله عز وجل بالاكتشاف عن علل وأسباب هذه الأشياء والحوادث .

(٢) مطالعة القرآن ص/٢٣٣ .

(٣) مطالعة القرآن للشيخ محمد حنيف الندوي .

ومن مزاياه إثبات الغايات الأساسية للإسلام ومعتقداته الأصلية أي التوحيد والرسالة ويوم الآخرة وتقديم دلائل نظام الكون على صدقها ، وإتمام الحجة على منكري الحق كما جاء شرحه بمناسبة أخرى في قوله تعالى : ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات الآيتان/٢٠ – ٢١) وترغيب المسلمين بصفة خاصة في تسخير الموجودات أي الاستفادة مما يوجد في أشياء الكون من فوائد طبيعية وحياتية في صورة قوانين الفطرة ، وتوجيه الحياة الإنسانية إلى أحسن طريق ، وكسب القوة لانتشار الإسلام ، لتتحقق بها غايات الخلافة من الأرض ، وإصلاح الناس على جميع المستويات .

تنوع مباحث القرآن الكريم :

يشتمل القرآن على آيات الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والموعظة والنصيحة ، والتذكير والأحكام ، ويحتوي كذلك على العقائد وأحكام الشريعة ، والقصص والأمثال ، وبيان حقائق الدنيا والآخرة ، وتوجد فيه إشارات إلى توضيح العلوم والفنون ، ورموز ونكت عالية للفصاحة والبلاغة ، توافق كل عصر وزمان وتتوصل إليها الإنسانية إلى الأبد ، كما تكون فيه توجيهات إلى علم الاقتصاد والمعاش ، والعمران ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية والحكمة وعلم النفس ، تتفق العالمين العلوي والأرضي ، فالقرآن دستور خالد ونظام ثوري ، يحمل دقائق وأسرارا حكيمة ودقيقة وغامضة في ربط الآيات والسور القرآنية .

وقد وعد الله بحفظ القرآن الكريم بقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، فإن صيانته وإن كانت من عنده ، لكنه جعل الناس سببا لحفظه وصيانته ، وخلده بتلاوة مآت آلاف من المسلمين وحفظه ، وبقرائته في صلاة التراويح ، ونقله إلى لغات العالم غير العربية ، وقد صار من هذه الوسائل حفظ القرآن محكما وموثقا لا يمكن لفريق من الأشرار أن يخل بجزء منه .

وقد ألفت تفاسير كثيرة في اللغة العربية ، كانت أيضاً من وسائل حفظه ، ثم دونت كتب التفسير مترجمة ومفسرة في لغات العالم الأخرى .

الواقع أن القرآن كتاب دعوي وتربوي ، يدعو إلى الحق ، ويكشف الحقائق ، ويدعو الإنسان إلى التحلي بالصفات العالية ، وإطاعة ربه والشكر له والابتهال إليه ، فكان أسلوبه في هذا الباب أعلى وأرفع وأشد رعاية للطبيعة الإنسانية والنفسية ، تكمن فيه وسائل العلم والفن التي

توضح مراد الكلام ، وتؤثر في النفوس وتأخذ بمجامع القلوب والعقول ، وتبرز خصائص البيان وبلاغة نصوص القرآن ، فمثلاً النحو والصرف والبلاغة والمعاني ، والخطابة والوعظ ، وغيرها من فنون التجويد والقراءة والتصوير الفني ، والتاريخ والقصص التي تجذب النفوس قد أودعت فيه ، وتتجلى فيه جوانب مختلفة للفكر الإنساني ، والنفسية الإنسانية والدراسات ، وجوانب تتصل بالحياة العملية للإنسانية ، ورد ذكرها في القرآن بمناسبات مختلفة ، ونذكر هنا على سبيل المثال عدة جوانبه :

تعبير الرؤيا :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة يوسف الآيتان/٤ – ٥) حتى قال : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾ (سورة يوسف الآية/١٠٠) .

علم الأمثال :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤١) .

وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (سورة إبراهيم الآيات/٢٤ – ٢٦) .

علم الأخلاق :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النحل الآيتان/ ٩٠ – ٩١) .

وقال : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (سورة الرحمن الآية/٦٠) .

علم النفس :

قال الله تعالى : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (سورة الروم الآية/٣٠) .

علم السياحة والرحلة :

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (سورة فاطر الآية/٤٤) .

الاكتشافات السماوية :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية/٦١) .

الوثائق التاريخية :

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة يوسف الآية/١١١) .

علم الاقتصاد :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٠) .

وقال : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة الآية/١٠) .

وقال : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٣٢) .

وقال : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (سورة آل عمران الآية/٣١) .

الأسلوب العلمي :

قال الله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات الآية/٦) .

فالصناعات التي عمت هذا العصر المتطور يأتي ذكرها ضمن كثير من الأمور المهمة من القرآن .

اللباس الإنساني :

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ (سورة النحل الآية/٨١) .

قول الله عن التغذية :

قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٢) .

الصناعات المعدنية :

قال الله تعالى : ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ (سورة سبأ الآية/١١) .

وقال : ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (سورة الكهف الآية/٩٦) .

وهناك كثير من العناوين مثل ذلك يتعرض لها الإنسان في حياته الدنيا ، وتوجد إشارات إليها حسب الأحوال والظروف في القرآن الكريم (٤) .

شمولية القرآن الحقائق المتنوعة للحياة والكون :

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي :

"الدارس المنصف من ذوي الفطرة السليمة – الذي لا يجمد جمود الجاهلين ولا يخضع لكشوف العلم خضوع المستسلمين المنبهرين – يدهش عند ما يطلع على هذه الحقيقة العجيبة حقاً ، وهي أن هذا الكتاب رغم كونه قد نزل على رسول أمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمن في البيئة العربية المحدودة المنعزلة عن دنيا العلم والمدنية ، احتوى على عدد من الحقائق التي تتعلق بالتاريخ والجغرافية والطبيعة والفلك والأجرام السماوية وعلم الحياة ، والطب ، وخلق الإنسان وتكوينه وتركيب أعضائه وغيرهما من كثير من المعارف والعلوم التي انكشف عنها في القرون الأخيرة معلومات وحقائق ، وتغيرت أوضاع العلم البشري تغيراً جذرياً ، وليس فيه ما أثبت العلم الحديث ، وكشوفه خلافه ومنافاته للواقع ، بل قد وردت فيه حقائق ولفتات لم يكشف عنها العلم إلا قريباً ، ولم يبلغ إليه إلا بالأمس .

إن تفصيل هذا الإجمال لا يقتضي كتاباً واحداً ، بل سلسلة كتب ومؤلفات ، فنكتفي هنا بشهادة واحدة لباحث فرنسي فاضل ، فقد صدر قريباً للأستاذ الفرنسي الباحث موريس بوكائي (Maurice Bucaille) في كتابه (The Bible, The Quran And Science) وترجمته العربية باسم "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" ، يقول فيه المؤلف الفاضل :

"لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، فلم أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير – إلى هذا الحد – من الدعاوي الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً" (٥) .

ولقد وصل المؤلف بعد مباحث قيمة تستحق الدراسة حول خلق السماوات والأرض ، وإيجاد هذا الكون ، والأجرام الفلكية ، وطبيعة

(٤) نماذج خارقة للإعجاز القرآني للسيد أحمد وميض الندوي ص/١٦٢ – ١٦٥ .

(٥) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، لموريس بوكائي (طبع دار المعارف – القاهرة) ص/١٤٤ .

الأجرام السماوية وتطور العالم السماوي وغزو الفضاء ودورة الماء والبحر وتضاريس الأرض والجو الأرضي وعالم النباتات والحيوانات ، ونشأة الحياة والتناسل الإنساني ، وتربية الجنين والحوادث التاريخية الكبيرة (كطوفان نوح ، وتحديد زمن إقامة بني إسرائيل في مصر ، وخروج سيدنا موسى عليه السلام من مصر ، وتحديد فرعون موسى ، وكيفية هلاكه وغير ذلك) (٦) وبعد عقد موازنات بين القرآن الكريم وصحف العهد القديم في ضوء الكشوف الجديدة في عالم الطبيعة والفلك وعلم الحياة ، والطب والتاريخ وصل إلى هذه النقطة الحاسمة .

"إن مقارنة عدد من روايات التوارة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوي التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتواثق تماماً مع المعطيات الحديثة" (٧) .

ويختم المؤلف كتابه العلمي الجيد بهذه السطور التالية :

"ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر ، وهذا بسبب حالة المعارف في عصر محمد – ﷺ – لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله ، وأن تعطى له مكانة خاصة جداً ، حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه ، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أي تفسير وضعي ، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية" (٨) .

وهكذا فإنه لا تأثير على القرآن الكريم للميول والنزعات البشرية المؤقتة من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وإن هدايته وإنارته للطريق في هذه الأمور العلمية أيضاً أبدية حتمية قاطعة" (٩) .

---

(٦) انظر لهذه المباحث العلمية بتفصيل ، الكتاب المذكور من ص/١٥٧ إلى ص/٢٧١ .

(٧) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص/٢٨٦ .

(٨) المصدر السابق ، ص/٢٨٦ .

(٩) المدخل إلى الدراسات القرآنية ص/٤٥ – ٤٨ .

*****

الوسوسة وعلاجها

بقلم : الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي
ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي

يتضمن خمسة مراهم لخمسة جروح قلبية ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (سورة المؤمنون الآيتان/٩٧ – ٩٨) .

أيُّها الأخ المبتلى بداء الوسوسة ! ليت شعري هل تعلم بماذا تشبه وسوستُك ؟ إنها أشبه بالمصيبة؛ تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً على مدى اهتمامك بها ، وبقدر إهمالك إياها تزول وتفنى ، فهي تعظُم إذا استعظمتَها وتصغُر إذا استصغرتَها ، وإذا ما خفتَ منها داستك ودوّختك بالعلل ، وإن لم تَخَفْ هانتْ وخَنَستْ وتوارت ، وإن لم تعرف حقيقتَها استمرت واستقرت ، بينما إذا عرفتَ حقيقتها وسَبَرتَ غورها تلاشت واضمحلت. فما دام الأمر هكذا فسأشرح لك خمسة وجوه ، من وجوهها التي تحدُث كثيرا ، عسى أن يكون بيانُها – بعون الله – شفاءً لصدورنا نحن كلنا ، ذلك لأنّ الجهل مجلبة للوساوس ، بينما العلمُ على نقيضه دافع لشرها ، فلو جهلتَها أقبلتْ ودنتْ وإذا ما عرفتها ولّت وأدبرت .

الوجه الأول – الجرح الأول :

إنّ الشيطان يلقى أولا بشبهته في القلب ، ثم يراقب صداها في الأعماق ، فإذا أنكرها القلبُ انقلب من الشبهة إلى الشتم والسبّ ، فيصوّر أمام الخيال ما يشبه الشتم من قبيح الخواطر السيئة والهواجس المنافية للآداب ، مما يجعل ذلك القلب المسكين يئن تحت وطأة اليأس ويصرخ : واحسرتاه ! وامصيبتاه ! فيظن الموسوَس أنّ قلبه آثم ، وأنه قد اقترف السيئات حيال ربه الكريم ، ويشعر باضطراب وانفعال وقلق ، فينفلت من عقال السكينة والطمأنينة ، ويحاول الانغماس في أغوار الغفلة .

أمّا ضِماد هذا الجرح فهو : أيها المبتلى المسكين ! لا تخف ولا تضطرب ، لأنّ ما مرّ أمام مرآة ذهنك ليس شتما ولا سبّا ، وإنّما هو مجردُ صوَرٍ وخيالات تمر مرورا أمام مرآة ذهنك ، وحيث إنّ تخيُّلَ الكفر ليس كفراً ، فإنّ تخيُّل الشتم أيضا ليس شتماً ، إذ من المعلوم في البديهية المنطقية : أنّ التخيُّل ليس بحكم ، بينما الشتم حُكم ، فضلا عن هذا ، فإنّ تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن قد صدرت من ذات قلبك ، حيث إنّ

قلبك يتحسّر منها ويتألم ، ولعلها آتية من لمّة شيطانية قريبة من القلب ، لذا فإن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر ، أي إنّ ضرره على القلب هو ما نتوهمُه نحن من أضرارها ، لأنّ المرء يتوهم تخيلا لا أساس له كأنّه حقيقة ، ثم ينسب إليه من أعمال الشيطان ما هو بريء منه ، فيظن أنّ همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو ، ويتصور أضرارَها فيقع فيها ، وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات .

الوجه الثاني :

عند ما تنطلق المعاني من القلب تنفذ في الخيال مجردةً من الصور ، وتكتسي الأشكالَ والصور هناك. والخيالُ هو الذي ينسج دائما ولأسباب معينة ، نوعا من الصور ، ويعرض ما يهتم به من الصور على الطريق ، فأيّما معنىً يرد ، فالخيال إمّا يُلبسه ذلك النسيج أو يعلّقه عليه أو يلطخه به ، أو يستره به؛ فإن كانت المعاني منزهةً ونقيةً ، والصور والأنسجة ملوثةً دنيئةً فلا إلباسَ ولا إكساء ، وإنما مجرد مس فقط ، فمن هنا يلتبس على الموسوس أمرَ التّماس فيظنه تلبسا وتلبيسا ، فيقول في نفسه : يا ويلتاه ! لقد تردى قلبي في المهاوي ، وستجعلني هذه الدناءة والخساسة النفسية من المطرودين من رحمة الله ، فيستغل الشيطان هذا الوتر الحساس منه استغلالا فظيعا .

ومرهم هذا الجرح العميق هو : كما لا يؤثر في صلاتك ولا يُفسدها ما في جوفك من نجاسة ، بل يكفي لها طهارة حسية وبدنية ، كذلك لا تضر مجاورةُ الصور الملوثة بالمعاني المنزّهة والمقدسة .

مثال ذلك : قد تكون متدبرا في آية من آيات الله ، وإذا بأمرٍ مُهيِّجٍ من مرضٍ يفاجئك ، أو من تدافع الأخبثين ، يلحّ على خيالك بشدة ، فلاشك أنّ خيالك سينساق إلى حيث الدواء ، أو قضاء الحاجة ، ناسجا ما يقتضيه من صور دنيئة ، فتمر المعاني الواردة في تدبرك من بين الصور الخيالية السافلة ، دَعْها تمر ، فليس ثمة ضرر ولا لوثة ولا خطورة ، إنّما الخطورة فقط هي في تركيز الفكر فيها ، وتوهم الضرر منها .

الوجه الثالث :

هناك بعض علاقات خفية تسود بين الأشياء ، وربما توجد خيوط من الصلة ، حتى بين ما لا نتوقعه من الأشياء ، هذه الخيوط إمّا أنها قائمة بذاتها ، أي حقيقية ، أو أنّها من نتاجات خيالك الذي صنع هذه الخيوط حسب ما ينشغل به من عمل ، وهذا هو السر في توارد خيالات سيئة أحيانا

عند النظر في ما يخص أمورا مقدسة ، إذ "التناقض الذي يكون سببا للابتعاد في الخارج يكون مدعاة للقرب والتجاور في الصور والخيال" كما هو معلوم في علم البيان ، أي إنّ ما يجمع بين صورتي الشيئين المتناقضين ليس إلاّ الخيال ، ويُطلق على هذه الخواطر الناتجة بهذه الوسيلة : تداعي الأفكار .

مثال ذلك : بينما أنت تناجي ربك في الصلاة بخشوع وتضرع وحضور قلب ، مستقبلا الكعبة المعظمة ، إذا بتداعي الأفكار هذا يسوقك إلى أمور مشينة مخجلة لا تعنيك بشيء ، فإذا كنت يا أخي مُبتلىً بتداعي الأفكار ، فإيّاك إيّاك أن تقلق أو تجزع ، بل عُد إلى جالتك الفطرية حالما تنتبه لها ، ولا تشغل بالَك قائلا : لقد قصّرت كثيرا .. ثم تبدأ بالتحري عن السبب .. بل مر عليها مَرّ الكرام لئلا تقوى تلك العلاقاتُ الواهية العابرة بتركيزك عليها ، إذ كلما أظهرت الأسى والأسف وزاد اهتمامُك بها انقلب ذلك التخطر إلى عادة تتأصّل تدريجيا حتى تتحول إلى مرض خيالي ، ولكن لا .. لا تخشَ أبدا ، إنه ليس بمرض قلبي ، لأنّ هذه الهواجس النفسية والتخطر الخيالي هي في أغلب الحالات تتكون رغما عن إرادة الإنسان ، وهي غالباً ما تكون لدى مرهفي الحس والأمزجة الحادة ، والشيطان يتغلغل عميقا مع هذه الوساوس .

أما علاج هذا الداء فهو : اعلم أنّه لا مسؤولية في تداعي الأفكار ، لأنّها لا إرادية غالباً ، إذ لا اختلاط ولا تماس فيها ، وإنما هي مجرد مجاورة ولا شيء بعد ذلك ، لذا فلا تسري طبيعةُ الأفكار بعضها ببعض ، ومن ثم فلا يضر بعضها بعضاً ، إذ كما أن مجاورة ملائكة الإلهام للشيطان حول القلب لا بأس فيها ، ومجاورة الأبرار للفجار وقرابتهم ووجودهم في مسكن واحد لا ضرر فيه ، كذلك إذا تداخلت خواطر سيئة غير مقصودة بين أفكار طاهرة نزيهة لا تضرّ في شيء إلاّ إذا كانت مقصودة ، أو أن تشغل بها نفسك كثيرا ، متوهما ضررها بك ، وقد يكون القلب أحيانا مرهقا فينشغل الفكر بشيء ما – كيفما اتفق – دون جدوى ، فينتهز الشيطان هذه الفرصة ويقدّم الأخيلة الخبيثة وينثرها هنا وهناك .

الوجه الرابع :

هو نوع من الوسوسة الناشئة من التشدد المفرط لدى التحرّي عن الأكمل الأتم من الأعمال ، فكلما زاد المرء في التشدد هذا – باسم التقوى والورع – ازداد الأمر سوءا وتعقيداً ، حتى ليوشك أن يقع في الحرام في

الوقت الذي يبتغي الوجه الأول والأكمل في الأعمال الصالحة ، وقد يترك "واجبا" بسبب من تحرّيه عن "سنّة" حيث يسأل نفسَه دائما عن مدى صحة عمله وقبوله ، فتراه يعيده ويكرره ، قائلا : "تُرى هل صحّ عملي" ؟ حتى يطول به الأمر فييأس ، ويستغل الشيطان وضعَه هذا فيرميه بسهامه ويجرحه من الأعماق .

ولهذا الجرح دواءان اثنان :

الدواء الأول : اعلم أن أمثال هذه الوساوس لا تليق إلاّ بالمعتزلة الذين يقولون : "إن أفعال المكلفين من حيث الجزاء الأخروي حسنة أو قبيحة في ذات نفسها ، ثم يأتي الشرعُ فيقرر أنّ هذا حسن وهذا قبيح ، أي إنّ الحسن والقبح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الأشياء – حسب الجزاء الأخروي – أمّا الأوامر والنواهي فهي تابعة لذلك ولإقرارها" ، ولذلك فإن طبيعة هذا المذهب تؤدي بالإنسان إلى أن يستفسر دائما عن أعماله : "تُرى هل تمّ عملي على الوجه الأكمل المرضي كما هو في ذاته أم لا" ؟ أمّا أصحابُ الحق وهم أهل السنة والجماعة فيقولون : "إنّ الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء فيكون حسنا وينهى عن شيء فيكون قبيحا" ، فبالأمر والنهي يتحقق الحسن والقبح ، أي إن الحسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلف ، ويتعلقان بحسب خواتيمهما في الآخرة دون النظر إليها في الدنيا .

مثال ذلك : لو توضأت أو صليت ، وكان هناك شيء ما خفي عليك يفسد صلاتك أو وضوءك ، ولم تطلع عليه ، فصلاتُك ووضوءُك في هذه الحالة صحيحان وحسنان في آن واحد ، وعند المعتزلة : إنهما قبيحان وفاسدان حقيقة ، ولكنهما مقبولان منك لجهلك ، إذ الجهل عذر .

وهكذا أيها الأخ المبتلى ، فأخذاً بمذهب أهل السنة والجماعة يكون عملك صحيحا لا غبار عليه ، نظرا لموافقته ظاهر الشرع ، وإيّاك أن توسوس في صحة عملك ، ولكن إياك أن تغتر به أيضا ، لأنك لا تعلم علم اليقين ، أهو مقبول عند الله أم لا ؟.

الدواء الثاني : اعلم أنّ الإسلام دين الله الحق ، دينُ يُسر لا حرج فيه ، وأنّ المذاهب الأربعة كلها على الحق ، فإن أدرك المرء تقصيرَه تلافاه بالاستغفار الذي هو أثقل ميزانا من الغرور الناشئ من إعجابه بالأعمال الصالحة ، لذا فإن يرى مثل هذا الموسوس نفسَه مقصرا في عمله ويستغفر ربه خير له ألف مرة من أن يغتر إعجابا بعمله ، فما دام الأمر هكذا ، فاطرح الوساوس واصرخ في وجه الشيطان : إن هذا الحال حرج ، وإن

الاطلاع على حقيقة الأحوال أمر صعب جدا ، بل ينافي اليسر في الدين ، ويخالف قاعدة : "لا حَرَجَ في الدين" و "الدين يُسر" ، ولابد أن عملي هذا يوافق مذهبا من المذاهب الإسلامية الحقة ، وهذا يكفيني ، حيث يكون وسيلة لأن ألقي بنفسي بين يدي خالقي ومولاي ساجدا متضرعاً أطلب المغفرة ، وأعترف بتقصيري في العمل ، وهو السميع المجيب .

الوجه الخامس :

وهو الوساوس التي تتقمص أشكال الشبهات في قضايا الإيمان :

فكثيراً ما يلتبس على الموسوس المحتار خلجات الخيال ، فيظن أنها من بنات عقله ، أي يتوهم أن الشبهات التي تنتاب خيالَه كأنها مقبولة لدى عقله ، أي أنها من شبهات عقله ، فيظن أنّ اعتقاده قد مسّه الخلل .. وقد يظن الموسوس أحيانا أخرى أن الشبهة التي يتوهمها إنما هي شكّ يضرّ بإيمانه .. وقد يظن تارة أخرى أن ما يتصوره من رؤى الشبهات كأن عقلَه قد صدّقه .. وربما يحسب أن كلّ تفكير في قضايا الكفر كفر ، أي إنه يحسب أن كل تحرٍ وتمحيص ، وكل متابعة فكرية ومحاكمة عقليه محايدة لمعرفة أسبابِ الضلالة أنه خلاف الإيمان ، فأمام هذه التلقينات الشيطانية المأكرة يرتعش ويرتجف ، ويقول : "ويلاه ! لقد ضاع قلبي وفسد اعتقادي واختل" ، وبما أنه لا يستطيع أن يصلح تلك الأحوال بإرادته الجزئية – وهي غير إرادية على الأغلب – يتردى إلى هاوية اليأس القاتل .

أما علاج هذا الجرح فهو : أنّ تَوهم الكفر ليس كفرا كما أن تخيل الكفر ليس كفرا ، وإنّ تصور الضلالة ليس ضلالة ، مثلما أن التفكير في الضلالة ليس ضلالة ، ذلك لأن التخيل والتوهم والتصور والتفكر كل أولئك متباين ومتغاير كلياً عن التصديق العقلي والإذعان القلبي ، إذ التخيل والتوهم والتصور والتفكر أمور حرة طليقة إلى حدٍ ما ، لذلك فهي لا تحفل بالجزء الاختياري المنبثق من إرادة الإنسان ، ولا ترضخ كثيرا تحت التبعات الدينية ، بينما التصديق والإذعان ليسا كذلك ، فهما خاضعان لميزان ، ولأن كلاً من التخيل والتوهم والتصور والتفكر ليس بتصديق وإذعان فلا يعدّ شبهةً ولا ترددا ، لكن إذا تكررت هذه الحالة – دون مبرر – وبلغت حالة من الاستقرار في النفس ، فقد يتمخض عنها لون من الشبهات الحقيقية ، ثم قد ينزلق الموسوس – بالتزامه الطرف المخالف باسم المحاكمات العقلية الحيادية أو باسم الإنصاف – إلى حالة يلتزم المخالف دون اختيار منه ، وعندها يتنصل من الالتزامات الواجبة عليه تجاه الحق ، فيهلك ،

إذ تتقرر في ذهنه حالة أشبه ما يكون بالمفوّض والمخوّل من قبل الطرف المخالف أي الخصم أو الشيطان .

ولعل أهم نوع من هذه الوسوسة الخطيرة هو أن الموسوس يلتبس عليه "الإمكان الذاتي" و "الإمكان الذهني" أي أنه يتوهم بذهنه ويشك بعقله ما يراه ممكنا في ذاته ، علما بأن هنالك قاعدة كلامية في علم المنطق تنص على : "أن الإمكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي ، ومن ثم فلا تعارض ولا تضاد بينه وبين الضرورات الذهنية وبديهياتها" .

ولتوضيح ذلك نسوق هذا المثال : من الممكن أن يغور البحر الأسود الآن ، فهذا شيء محتمل الوقوع بالإمكان الذاتي ، إلاّ أننا نحكم يقينا بوجود البحر المذكور في موقعه الحالي ، ولا نشك في ذلك قطعاً ، فهذا الاحتمال الإمكاني والإمكان الذاتي لا يولدان شبهة ولا شكاً ، بل لا يخلان بيقيننا أبداً .

ومثال آخر : من الممكن ألاّ تغيب الشمس اليوم ، ومن الممكن ألاّ تشرق غدا ، إلاّ أن هذا الإمكان والاحتمال لا يخل بيقيننا بأي حال من الأحوال ، ولا يطرأ أصغر شبهة عليه ، وهكذا على غرار هذين المثالين فالأوهام التي ترِد من الإمكان الذاتي على غروب الحياة الدنيا وشروق الآخرة التي هي من حقائق الغيب الإيمانية لا تولد خللا في يقيننا الإيماني قطعاً ، ولهذا فالقاعدة المشهورة في أصول الدين وأصول الفقه : "لا عِبرة للاحتمال غير الناشئ عن الدّليل" .

وإذا قلت : تُرى ما الحكمة من ابتلاء المؤمنين بهذه الوساوس المزعجة للنفس المؤلمة للقلب ؟.

الجواب : إننا إذا ما نحّينا الإفراط والغلَبة جانبا فإن الوسوسة تكون حافزةً للتيقظ ، وداعيةً للتحري ، ووسيلة للجدية ، وطاردة لعدم المبالاة ، ودافعة للتهاون ، ولأجل هذا كله جعل العليمُ الحكيم الوسوسةَ نوعا من سَوطِ تشويق وأعطاه بيد الشيطان كي يحث به الإنسان في دار الامتحان وميدان السباق إلى تلك الحِكَم ، وإذا ما أفرط في الأذى ، فررنا إلى العليم الحكيم وحده مستصرخين : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

❖❖❖❖

"الخنزير ومساويه"

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر ❖

تتكرر في كتاب الله آيات بينات ، عن أخبث حيوان على وجه الأرض ، إذ جاء ذكره في التحريم مقروناً ومؤكداً بالحرمة أربع مرات في القرآن الكريم ، الذي يتلى للعظة والاعتبار ، وعند المسلمين للامتثال والعمل ، حيث مسخ الله سبحانه ، أمة تعمدت عصيان الله سبحانه : عتواً ونفوراً .

فعاقبهم الله على هذا العصيان ، بأن مسخوا على هيئة هذا الحيوان القذر ، بما فيه من مساوئ : خلقة وسجية وقذارة ونجاسة ، وسماجة في الطبع : إنه "الخنزير" .

فقد أخبر جل وعلا عن بني إسرائيل ، بأنهم نهوا عن الاعتدا في السبت ، والصيد فيه ، فتحايلوا على أمر الله ، فصاروا يرمون شباك الصيد في البحر قبل يوم السبت ، ويتركونها ، فتأتي الحيتان في يوم السبت ، لتمتلئ شبابيكم ، تحايلاً على أمر الله ، وامتحاناً لهم ، ويأتون يوم الأحد ليأخذوا هذا الصيد ، ويقولون : لم نصدها يوم السبت لأنه محرم الصيد فيه ، تغييراً لأمر الله سبحانه ، وعصياناً ومكابرةً ، والله سبحانه عالم بنواياهم ، ولا يخفى عليه شيئ من أعمالهم ، ويقولون : ما صدنا في السبت .. فكان ذلك امتحاناً لهم .

فجعل الله من هؤلاء المعتدين والمتحايلين على شرعه جل وعلا : عقاباً عاجلاً في الدنيا : "القردة والخنازير" ليعتبر الناس بما حصل لهؤلاء المتجاوزين لحدود الله ، المستهينين بشرعه ، وأن نقمته سبحانه شديدة ، وليدرك صاحب العقل السليم ، ما يحل بالمصادم المتجاوز لحدود الله وشرعه جل وعلا ، لأن الله إذا غضب انتقم ، وإذا تجاوز البشر أمره : عناداً واستهانةً أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وكما هي سنة الله في خلقه في الأمم ، نتيجة تجاوز الحدود ،

❖ رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية) .

وتهاونهم بأمر الله ، يعاجلهم بعقاب فيهلك المعتدين ، ومن رحمة الله بأمة محمد ﷺ ، أنهم لا يهلكون بالمعصية مرة واحدة ، كما قال رسول الله ﷺ ، في الحديث الصحيح : "سألت ربي ثلاثاً" فأعطيت اثنتين ، ومنعت الثالثة : سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة كما أهلكت الأمم السابقة ، فأعطيت إياها ، "يعنى لا تعجل عليهم العقوبة ، لعلهم يتوبون ويرجعون إلى ربهم ، فإن لم يتوبوا يؤخر العقاب للآخرة" .

ثم يقول : "وسألت ربي ألا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم ، فأعطيت إياها ، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديداً ، فمنعت إياها" ، وفسر ذلك بما يحصل بينهم من حسد وغيبة ونميمة ، وشحناء وبهتان .

فإذا كانت المصادمة ، بين الناس في الدنيا ، تجعل الأعلى مكانة وسلطة ، يغضب لينتقم ويعاقب ، فإن الله الخالق الرازق ، أحق بالانتقام عند ما تنتهك حدوده ، ولكنه حليم رشيد ، فإذا غضب أخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما جاء في الحديث القدسي ، ومنه قوله جل وعلا : "أنا الله أخلق ويُعبد غيري ، وأرزق ويُشكر غيري" .

ولكنها العقول البشرية القاصرة ، والمفاهيم الفاسدة ، والاستسلام لغواية الشيطان ، الذي أخذ على نفسه عهداً ، بأن يظل عباده ، ويصدهم عن الحق ، فقال سبحانه : إلا عبادي المخلصين فإنه لا يقدر على صدهم عن ذكر الله ، والاستقامة على شرعه .

وقد ذكر بعض العلماء في التفسير ، حالات تنبئ عن دور هذا الحيوان الدنيئ في نفسه المضر لخلق الله بأوبئته ، نوجز منها حالتين ، وإلا فهي كثيرة :

الأولى : أن نوح عليه السلام ، شكى إليه من كان معه على ظهر السفينة ، ممن ذكرهم الله سبحانه : من كل زوجين اثنين وأهله كما قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (سورة هود الآية/٤٠) .

فاشتكى من على ظهر السفينة ، من القاذورات والفضلات والروائح الكريهة ، إلى نوح عليه السلام فأوحي إليه أن يضرب أنف الفيل ، فأخرج الله منه زوجاً من "الخنازير" : ذكر وأنثى ، فصارا يلتقمان ما على ظهر السفينة ، من أوساخ المحمولين على ظهرها ، لتنظيفها وأكل ما يقع

على ظهرها من فضلات وقذرات ، فاستمرت في طبائع "الخنازير" إلى الأبد ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أو حتى نزول عيسى عليه السلام حين يقتل "الخنزير" ، ومن الحكمة أن صار الخنزير حاملاً للجراثيم والفيروسات ، ويظهر أثرها بين وقت لحكمة أرادها الله ، وحصل من هذا ، أن تأصل في طباع هذا الحيوان ، كونه ناقلاً للأمراض ، ومستودعاً للجراثيم والفيروسات ولا تضره .

وهذا فيما يظهر للناس ، من مساوئ هذا الخنزير في الدنيا ، والتي تكشف الأيام أوبئة وآفات سببها وحاملها "الخنزير" .

الثانية : في مشهد من مشاهد يوم القيامة ، لما عجز إبراهيم عليه السلام ، عن هداية والده ، وانصرافه عن الحق ، وتبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ونهاه ربه عن الاستغفار له ، كما بين الله ذلك ، في آيات من الذكر الحكيم ، طلب من ربه ألا يخزيه ، في المحشر بين الأمم ، قال بعض المفسرين في هذه الآيات الكريمة ، ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الحشر الآيات/٨٧ – ٨٩) ، إن الله استجاب دعوته ، فإذا جاءت الزبانية ، لأخذ العصاة وقذفهم ، فإن أبا إبراهيم يقلبه الله "خنزيراً" ، فتأخذه الزبانية على هذه الهيئة ، وتقذف في النار "خنزيراً" ، وبقدرته سبحانه يعيده إلى حالته البشرية ، وهذا من هوانه على الله ، لعناده واستمراريته على معصية الله .

– وقد أخبر رسول الله ﷺ : أن عيسى عليه السلام ، الذي يسميه بعض النصارى المخلص والمنقذ ، عند ما يأتي في آخر الزمان ، فإنه يجدد رسالة محمد ﷺ ، ويقتل الخنزير "ليزول شره ، وتتقطع مساوئه" ، ويكسر الصليب ، وعيسى عليه الصلاة والسلام لم يصلب ، بل شبه لهم .

ويدخل كثير من النصارى في دين الإسلام : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٩) ، وقد قال سبحانه ، بعد أن نفى جل وعلا قتل عيسى عليه السلام وصلبه ، وأنه سبحانه رفعه إليه ، ولكن شكهم فيه ، حتى ينزل ليجدد دين الله الحق ، بقوله الكريم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (سورة النساء الآية/١٥٩) .

وهذا الحيوان قد كتب عنه قديماً وحديثاً ، الشيئ الكثير ،

وكل تلك الكتابات قدحاً لا مدحاً ، وتنديداً لا تشريفاً .

ويزداد الأمر عند ما يبين في كل جهة ، مرض يهدد البشرية : كالحمى والأنفلونزا المرتبط اسم كل مرض يتفشى في المجتمع باسم "الخنزير" والتي تأتي في كل حين وآخر ، فترهب المجتمعات لآثارها المعهودة ، وما ينتج من وفيات بمئات الألوف ، بل الملايين من البشر ، إذ الأمراض الناشئة بسبب هذا الحيوان : معدية وينتشر بسرعة في أنحاء العالم ، كوباء خطير ، يموت به في كل مكان ، بقدرة الله – أفواج تتبعها أفواج ، وصلت في بعض السنوات بالملايين ، في جهة واحدة ، فما بالك بالجميع ؟

إذ كلما هجمت على مجتمع ، أفزعت أهله ومن حولهم ، وتتحرك من أجلهم الجهات المعنية ، استنفاراً واستفزازاً .

فالمسلمون يلجاؤن إلى الله سبحانه : بالدعاء والاستغفار ، والتوبة والإنابة ، امتثالاً للقول الكريم : "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان ليعذبهم وهم يستغفرون" .

وهذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب المعنية على الوقاية من هذا الخطر الدائم ، صحياً وعلمياً و وقائياً ، يقول عليه الصلاة والسلام : "وما أنزل الله من داء ، إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله" ويقول : "عباد الله ! تداووا ولا تداووا بحرام" ، لأن الله ما جعل شفاء عباده فيما حرم عليهم" ، وأما غير المسلمين فإن الله يسوق لهم الآيات والنذر ، وتأتيهم المصايب ، في النفس والمال والأمن ، وفي المعيشة والولد وغير ذلك من المصايب ، في شئون الحياة المختلفة .

ومن ذلك الصحة والمرض ، لكي ينتهبوا مما هم فيه من غفلة ، ليبحث من أراد الله له الهداية ، بالمخرج النفسي والصحي التي تتجلي معه المصيبة ، بمثل هذه النذائر ، التي لامست أوتار القلوب ، ومست بالصحة والمعيشة ، لحرص الإنسان على البقاء عمراً أطول ، وبعافية و رخاء ، وهذا ما يذكره الله سبحانه ، في مواطن من كتابه الكريم ، كما قال : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت الآية/٥٣) .

ولذا فإننا معاشر المسلمين ، عند حاجتنا لديار الغرب : دراسة أو علاجاً ، أو سياحة أو تجارة أو غيرها من الأسباب علينا أن نحتاط لأنفسنا ،

ونتوقى لديننا ، وننصح لنبي ملتنا ، فإن الخنزير قد أدخلوه في كل شيئ لرخصه ووفرة دهونه ورغبتهم الاستفادة من كل شيئ منه : عظماً وجلداً ، ولحماً وشحماً ، وشعراً وظلفاً وغير ذلك .

وكل شيئ منه ، بل أحشاؤه كلها حاملة للأمراض ، ونوعيات من الأوبئة التي تفتك بالإنسان ، مرجع أغلبها من الخنزير ، سواء انتقلت بالأكل أو اللمس أو النفس .

ولما كان الغربيون ، وخاصة النصارى منهم ، يعتبرون الخنزير ومشتقاته جزءً من حياتهم وطعامهم في جميع الوجبات ليلاً أو نهاراً .. فمثلاً الإفطار في الصباح ، بيض مقلي على هيئة عيون بدهن الخنزير لتوفره ، مع شرائح مقلية بزيت الخنزير وهي شرائح مقددة من لحم الخنزير ، وهكذا بقية الوجبات لا تخلو من ارتباط بالخنزير لكثرة دهنه وشحمه ، ومن ثم رخصه ، فالبسكويت والفطائر ، والكيك والمعجنات مرتبطة بالخنزير ، وتدخل شحومه ودهنه في تركيباتها ، بل حتى الأكلات الجاهزة للأطفال .

وقد أوضح لنا ذلك اثنان من الملونين ، دخلا الإسلام حديثاً في مدينة "مونجتر" ، بولاية "ألباما" جنوب الولايات المتحدة ، عند ما مررت بتلك الولاية ، برفقة زميل ، حيث أدركنا أول يوم من رمضان : الأول كان مجرماً يقطع الطرقات ، فقبض عليه وأودع السجن ، فيسر الله له دعاة عرفوه بالإسلام ، فأسلم وحسنت حاله فخففت مدته ، وخرج وأسلمت معه زوجته ، ووجدا عملاً في سوق تجاري كبير ، وتسمى بإبراهيم ، وزوجته تسمت عائشة ، والآخر كان قُسّاً فتشاجر مع قس آخر ، فقال له : إلهنا الأبيض ، لا يغفر لكم معاشر السود ، فغضب وقال : التفرقة النصرانية حتى في الآلهة ولجأ معاناً لأول مركز إسلامي ، فشرح الأمر ، وبينوا له الإسلام ، فأسلم وسمى نفسه داود .

صليا معنا الفريضة ثم التراويح ، وكان من حديثهما تعريف بالأطعمة التي دخل فيها "الخنزير ومشتقاته" : جاهزاً أو معلباً ، وبينا الأماكن التي يكتب عن التركيب فيها ورموزه ، مما يجب أن يحذر الإنسان بالسؤال وبقدر ما يستطيع وسوف نوضح تلك المسميات فيما بعد ، إن شاء الله .

(للحديث صلة)

الدعوة الإسلامية :

يوميات معتقل

بقلم : الأستاذ اشرف شعبان أبو احمد *

قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (سورة محمد الآية/٣١) .

أتذكر ذلك اليوم ، وقد كنا يومئذ في مرحلة الشباب ، مرحلة النضج والحيوية والصحة ، تعرف في وجوهنا نضرة النعيم ونظر الأمل للغد ، أجسامنا قوية البنيان ، عضلاتنا مفتولة بارزة ، إرادتنا صلبة ، سريرتنا صافية ، هممنا جاهزة ومستعدة لتحمل الصعاب ، كنا وقتها ونحن ، منا من هو واقف خاشع وجل بين يدي الله عز وجل في صلاة القيام ، ومنا من هو يتلو آيات الذكر الحيكم متدبراً معاني قراءته متعظا بما يقول ، ومنا من هو يخطط للقيام بأعمال البر التي أمرنا بها الإسلام ، وقتئذ انقضت علينا جحافل من الجنود المدججين بالسلاح والعتاد ، اقتحموا خلوتنا وأشاعوا الهرج والمرج في مسجدنا ، بل وانتهكوا حرمات منازلنا لم يتركوا فيها كتاباً أو صحيفة أو حتى قطعة أثاث إلا مزقوها وكسروها ، ولم يدعوا طفلاً أو شيخاً إلا روّعوه ، في ذات الوقت الذي يجد فيه المرتشون وناهبو أموال البلد وخيراتها ، من أصحاب السلطة والنفوذ فرصتهم لإتمام صفقاتهم في كل أمن وطمأنينة ، وفي ذات الوقت الذي تخرج فيه الراقصات والعاهرات من الكباريهات وأماكن اللهو وعلب الليل ، لتجد من يختفي بهن من الأخدان والعشاق وراغبي المتعة المحرمة ، حيث يمضون ما بقي من الليل ويواصلونه بالنهار ، يأكلون ما لذ وطاب ويشربون ما يسكر العقول ويخدر المشاعر ويهيج الشهوات ويقترفون الآثام والمحرمات .

وفي ذلك اليوم ، سقت إليك يا زنزانتي ، مكتوف الأيدي معصوب الأعين ، وسط حراسات مشددة من جنود على أهبة الاستعداد لإطلاق نيران أسلحتهم مع كل همسة أو حركة لأي من المقبوض عليهم ، كما لو كنا

---

* جمهورية مصر العربية .

من أعتى المجرمين ، سقنا إليك جميعاً عبر دهاليز إلى سراديب في أعماق الارض ، سوداء مظلمة كئيبة لا يدخلها هواء ، ولا يوجد بين جدرانها نافذة واحدة نستوضح منها ضياء الفجر من ظلام الليل ، لا فرش فيك ولا غطاء ، نلتحف في الشتاء القارس بجوك القاري ، ويضطرنا قيظ الصيف بك لو نود الانسلاخ من جلودنا ، وتأبى أدنى الحشرات والديدان عن سكنتك ، نزج فيك أفواجاً أضعافاً مضاعفة عن أعداد ما تتحمليه وتستوعبيه .

قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٤٢) .

ومنذ لحظة وصولنا ، بدءوا معنا ما يشتهونه ويتلذذون به ويبتكرون فيه من مهام ، وكلت إليهم أعمال تخصصوا لها وفوضوا فيها ، حيث يسحبون الواحد منا وراء الآخر على الأرض إلى سلخانة التعذيب ، نجرد من ملابسنا ونعلق عرايا كما ولدتنا أمهاتنا من أرجلنا كالذبائح ، يمارسون علينا الضرب والجلد بشتى أنواعه ، وبمختلف أدواته بالعصي والقطع الخشبية ، على الرأس ومناطق العظم ، ثم الجلد بالسياط والكرابيج متعددة الأطراف ، والكابلات الكهربائية على سائر أنحاء الجسد ، ويزيدوننا تعذيباً باستخدام الصواعق والصدمات الكهربائية على الأجزاء الحساسة من الجسم ، ولا يفوتهم خلع أظافر الأيدي والأرجل باستخدام الأدوات المعدنية ، ويفصلون بين هذا النوع وهذه الأداة بفاصل من الكي بالنار والحرق بالسجاير ، حتى تلتهب ظهورنا وتشتعل أجسامنا وتهشم عظامنا وتبتر أطرافنا ولا يتركوننا إلا جثثا هامدة ، نوضع لساعات طويلة في أقفاص حديدية لا يزيد طولها أو عرضها أو ارتفاعها عن المتر إلا بسنتمترات قليلة ، لا يستطيع الواحد منا أن يقف أو تنتصب له قائمة أو يجلس أو يتحرك فيها ويظل أغلب الوقت ساجداً على ركبتيه وكفيه أو مرفقيه ، فتختلط صرخات شدة آلام التعذيب مع صرخات آلام هذا الوضع ، وعند ما نستدعى للتحقيق نكنى بأسماء العاهرات ذوات القصص الفريدة والمثيرة في عالم العهر والغرام ونجر من رقابنا بسلاسل حبواً على أيدينا وأرجلنا كالحيوانات ، وكم تمنينا أن نتعامل أسوة بكلاب السجن في غير ذلك الأمر ، وفضلاً عن التعذيب البدني والنفسي والإذلال والمهانة والتهديد

باعتقال الأهل وتعذيب الشيوخ منهم واغتصاب النساء وفي كثير من الأحيان يوفون بتهديداتهم أمام أعيننا ، وتوجيه أحط الألفاظ وأقذر الشتائم والسباب إلينا ، لا تتلقى أمعاؤنا ولا يدخل جوفنا إلا كسرة خبز تلقى إلينا وقد تعفنت وتعاف الحيوانات عن أكلها وكثيراً ما منعت عنا وحرمنا من الماء ، حتى نسمات الهواء التي سخرها الله عز وجل للبشر جميعاً ولا حكر لأحد عليها في أي مكان أو زمان لا ندري ماذا جرى لها لم تعد تأتي إلى هنا ، فقد وضعت أمامها المصدات البشرية وبنيت أمامها السدود الحجرية حتى لا نستنشقها أو نستمتع بها ، وهنا في ذات هذه الرقعة حيث نأكل وننام واقفين عند ما تغرق أرضية الزنزانة بالماء نقضي حاجتنا ، و بعد أن شاطرتنا الأوبئة والجراثيم فيها أصبحنا حيث نحيا نموت وندفن .

إن ما يحدث هنا من فظائع وما يجري من أهوال ، ترتعد منها الفرائص وتقشعر الأبدان ويشيب لها الولدان ويعجز القلم عن كتابتها ويستحي اللسان عن النطق بها ويذهل العقل من مجرد التصور والتفكير فيها ونعجز تماماً عن توصيفها ونقل آثارها على أجسامنا ، فهؤلاء الزبانية ليسوا بشراً أسوياء ولا آدميين طبيعيين وما يرتكبوه من جرائم لا يصدر بأي حال من الأحوال عن أبناء دين ووطن واحد ولكنه قد يصدر من أعدى أعداء البشرية والإنسانية ، ولو يعلم هؤلاء الجلادون عبيد السلطة كلاب الحراسة أن المولى عز وجل حرم الظلم على نفسه وحرمه بين العباد ، ولو يعلمون ما ينتظرهم من (مصير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) لتنموا أن يكونوا هم أول الناس في دفع الظلم عن عباد الله وأن يكونوا هم أول المسارعين في مداواة الجرحى وتخفيف آلامهم .

قال تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٨٣) .

وأنت أيتها الزنزانة ! تمضي أياماً وليالي كثيرة لا صديق ولا أنيس غيرك ، يظل بابك مغلقاً لا نجد من يطل علينا ليعرف هل ما زلنا على قيد الحياة أم وافتنا المنية ، أشكو إليك ضعف صحتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، تنصتين إلي جيداً وتسمعين أنيني ، ولكن لا إجابة منك ، تظلين

صامدة صامتة تحملتني كثيراً أحس بشفقتك وعطفك علي ، ولكنك تشهدين على صلابتي وقوة تماسكي ، وتشهد جدرانك على براءتي من أية تهمة غير قول الحق والجهر بإسلامي إن اعتبر ذلك تهمة ، كل شبر فيك شهد مأساة ، فهنا صعدت روح أخ لي ، وهنا لفظت أنفاس آخر ، وهنا وهناك امتهن شرف وكرامة وأجساد رجال من خيرة أبناء هذه الأمة ، رجال لم تسرق ولم تقتل ولم تمالئ الاستعمار ولم تتاجر بالسوق ولم تختلس أو يربش ، وبعد أن كانت هذه الزنزانة تدنس بأبوال ومخلفات المجرمين والشاذين واللوطيين طهرت بعد أن اتخذها الأخوة مسجداً وإيواء ، وبعد أن كانت تطفح بتجار المخدرات ومنتهكي الأعراض وناهبي الأموال وقاطعي الطرق سكنت بأبناء أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وبعد أن كانت تضج بصيحات وضحكات السكارى والعرابيد أصبحت تملأ بهمسات تلاوة القرآن وأذان الصلاة ، وبعد أن كانت تستقبل عتاة الإجرام أغلقت أبوابها أمامهم وفتحت على مصراعيها أمام الملتزمين بالإسلام ، تتلقفهم بدون ذنب أو جريرة إلا قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله وعملهم بها ، آه ثم آه ثم آه ، لو يعلم من بنى هذه الزنزانة ووضع أساسها أنها ستضم خيرة أبناء هذه الأمة بدلاً من فساقها ومجرميها ، لو يعلم من ساهم بوضع حجر على كتفه ليعلي به جداراً أو لينصب عموداً أو ليسطح سقفاً أن هذه المقابر ستواري جنبيها أبناء خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ، ما شارك بأدنى مجهود في تشيدها .

قال تعالى ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة النساء الآية/٩٥) .

ومنذ سنوات عجزت أنا وغيري عن حسابها وملاحقة عدها وقد منعت عنا الأخبار والأنباء ، أخبار الأهل والأصدقاء وأنباء العالم وأحداثه لم نعد نعرف من الدنيا إلا هذه الحوائط الأربعة ، ولم نعد نرى غيرها إلا ما يحمله إلينا أخوة جدد ألقي بهم إلى هنا ولم تزهق أرواحهم بالاغتيال أو بالتعذيب ، والآن بعد أن أمضيت كل هذه السنين من عمري حبيسا وقد مرت كدهر أو قرن من الزمان ، شاب فيها الرأس وضعف البصر من طول الظلام وخف السمع وتعقد اللسان وتساقطت الأسنان وشلت الأعضاء وخارت

العضلات وانهارت القوى وانطمست الحيوية وهزلت الأجسام ، وصرت يا جسد هالكاً لا حراك فيك بعد أن غطاك التقيح والأوهام والندب والجروح ، لا أعرف إن كانت الحياة ما زالت تجري فيك أم لا ؟ وهل هذه أنفاسي أم ماذا يا ترى ؟ لا أصدق كيف تحمل بدني وصمدت روحي أمام كل هذا ، فعند ما أسترجع ما مررت به وبمجرد أن تجري أمامي هذه الأحاديث أتوجع من شدة الآلام ولسعات النار ووطئات العصي فما بالكم بوقعها الفعلي ، يا من تعيشون خارج هذا الجحيم تتهافتون وتتسارعون بل وتتقاتلون من أجل لقمة العيش ، تمضون أيامكم إما في الجري وراء متعة أو نشوة ، أو في الوقوف أمام المجمعات والمصالح في انتظار أن يمن عليكم بنعمة أو خدمة ، تأسركم شهواتكم وتحركم نزواتكم ، ولا تفكرون إلا في إشباع المعدة وما تحتها بين الفخذين ، وما يتبقى لديكم من وقت تستسلمون فيه لأجهزة الإعلام لتفسد لكم دينكم وأخلاقكم ، ألا تفكرون في مدى المعاناه التي نعانيها ؟ إلا تفكرون كيف نعيش هنا وكيف نتجرع هذا العذاب ؟

ولكن لن يطول سجني ولن يظل جسدي راقداً هنا بلا حراك فلن نيأس ولا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون وسنظل نحيا ونحلم إلى آخر رمق من حياتنا باليوم الذي يخرج فيه الناس ويفيقون من غفلتهم وينبشون قبورهم التي دفنوا فيها أحياء ، يوم زيفت لهم عقيدتهم وخضعت لأهواء مشايخ السلطة وخرست ألسنة العلماء عن النطق بالحق وقصفت رقاب الورعين الأتقياء واعتقل المجاهدون المخلصون .

ولا تحزني يا نفسي وكيف تحزنين ولماذا تجزعين على ما أصابك ؟ فهذا هو الطريق الذي سار على دربه كثير ممن أرادوا رضوان الله تعالى ، وإن ضعف البشر عن مناصرتك ومؤازرتك فإن الله عز وجل معينك وناصرك .

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة الحج الآية/٣٨) وقال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم الآية/٤٨)

اليوم العالمي للغة العربية

بقلم : الدكتور ثمامة فيصل بن أبي المكارم *

الجمعية العامة للأمم المتحدة كانت قد أصدرت في عام ١٩٧٣م في دورتها العشرين قراراً باعتماد اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية المقررة ولجانها الرئيسية ، وبعد مرور نحو أربعين عاما على ذلك القرار وتلبية لمقترح تقدمت به كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية إلى منظمة الأمم المتحدة ، قررت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافية العربية (أرابيل) التابعة لمنظمة "اليونيسكو" إعتماد ١٨/ديسمبر من كل عام ، "اليوم العالمي للغة العربية" اعتبارا من ديسمبر لعام ٢٠١٢م (التحرير) .

قال اللهُ عزّ وجلّ في القرآن الكريم : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآنا عَرَبِيًّا لَعَلَّكم تَعْقِلُون﴾ ، وقال جلّ وعَلاَ : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرون ، قُرآنا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهم يَتَّقون﴾ .

لقد شَرَّفَ اللهُ عزّ وجلّ اللغة العربية وفضّلها على سائر اللغات ؛ بحيث قد اختَصّها لتنزيل كلامه المجيد ، و بَعَثَ في الناطقين بها رسولَه الأمين. واللغة العربية هي اللغة التي فرض الله على المسلمين التَّعَبُّدَ بها في الصلوات. وهي لغةُ مصادرِ الشريعة الغرّاء ، وهي الوعاء الأصلي لتعاليم الإسلام السمحة؛ فبها وُضِعَ أولُ ما وُضِعَ من الكتب والمؤلفات في جميع العلوم الإسلامية من التفاسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه والفقه وأصوله ، فاللغة العربية هي لغة المرجع والمصدر لديننا الحنيف ، ولا غنى عنها لمن أراد التفقهَ في أمورِ الدين وإدراكَ كُنْهِها وسَبْرَ أغوارها. واللغة العربية هي مَكْرُمَةٌ ومَفْخَرةٌ للمسلمين ، وهي مصدرُ الخير والبركة لهم ، وهي مجلبُ السعادة ومنبعُ النور والعرفان ، وهي خزينةُ الدُّرَرِ واللآلي والمرجان ، وما أحسن ما قاله شاعرُ النيل حافظ إبراهيم مشيرا إلى هذه الميزات للغة العربية :

وَسِعْتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً ... وَمـــا ضِقْتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

واللغة العربية ، علاوةً على مكانتها الدينية ، لغةُ العلم والأدب والتاريخ والحضارة. فلم يطرق علماؤها كافةَ العلوم والفنون التي سَبَقَهم في

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد القومية الأردية ، فرع لكناؤ . sumamaid@gmail.com

طرُقها غيرُهم من أصحاب الديانات والحضارات السابقة في القرون الخالية فحسب ، بل إنهم حدّثوها ، ووسّعوها ، وتفننوا فيها ، وشَقُّوا لها فروعا جديدة ، وزادوا عليها من أشياءَ لم يُسبَقوا إليها ، وبرز فيها منهم جهابذةٌ وعباقرةٌ وفلاسفةٌ عوّل عليهم علماءُ الغرب واعتمدوا على تَرِكتِهم العلمية لتحقيق الثورة العلمية في العالم الغربي.

تنتمي اللغة العربية إلى الفرع الجنوبي للغات السامية ، وهي أقدم اللغات الحية التي تحتفظ بخصائصها الأولى ، أما لغات العالم الأخرى فقد تلاعب بها الزمان ما تلاعب وتَصَرّفَ بها الحدثان ما تَصَرّفَ ، وطرأ عليها تعديلٌ وتحريفٌ فقدتْ بهما خصائصَها الأولى ، أما اللغة العربية فقد حفظها الله وصانها من يد الدهر عبر العصور والأزمان ؛ لأنها لغة القرآن ، وقد أعلن الله جل وعلا أنه هو الذي نَزّلَه وأنه هو الحافظ له. ويعتقد جماعةٌ من الباحثين أن اللغة العربية أقربُ إلى الأصل السامي مقارنة بسائر أخواتها السامية وإن كانت اللغةُ الآرامية أقدمَ منها عهداً.

وتمتاز اللغة العربية بميزات وخصائص لغوية تجعل منها لغة غنية و ثرية ، وتجعلها تُسايرُ التطورَ الحضاري والفكري ، فقد استطاعت في العصور الإسلامية المختلفة أن تستوعب الفكر الدخيل والعلم الدخيل ، وأن تعبر عنهما بأسلوبها الصافي البليغ ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على شموليتها وتكاملها ومقدرتها الاستيعابية العجيبة.

وقد أثّرَ انتشارُ الإسلام في سمو مكانة اللغة العربية ، فأصبحت لغةَ السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون ، وأثّرت اللغةُ العربية تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في كثير من اللغات الأخرى في العالم كالتركية والفارسية والكردية والأوردية والماليزية والإندونيسية والألبانية وبعض اللغات الأفريقية مثل لغة الهاوسا واللغة السواحيلية ، وبعض اللغات الأوروبية كالإسبانية والبرتغالية والمالطية والصقلية.

واللغة العربية اليوم هي لغة رسمية لاثنتين وعشرين دولة من الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) ، وينطق بها أكثر من ٤٢٢ مليون شخص في العالم العربي ، ويستخدمها أكثر من مليارٍ ونصف المليار من المسلمين في العالم.

ونظراً إلى هذه الأهمية البالغة للغة العربية ، ونظراً إلى مكانتها اللغوية والتاريخية والحضارية والثقافية وإلى النطاق الواسع للناطقين بها

والمستخدمين لها من المسلمين وغيرهم ، لقد اهتمتْ بها منظمةُ الأمم المتحدة منذ تأسيسها في عام ١٩٤٥م عقب الحرب العالمية الثانية ، وأَوْلَتْها عنايةً خاصةً ، فجعل المؤتمرُ العامُ لليونسكو في دورته الثالثة التي انعقدت في بيروت عام ١٩٤٨م اللغةَ العربيةَ لغةَ العمل الرسمية للمؤتمر العام في تلك الدورة إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

ومما يدل على عنايةِ منظمة اليونسكو باللغات العالمية وسعيها إلى النهوض بها اعتمادُها في ١٧ نوفمبر عام ١٩٩٩م في الدورة الثلاثين للمؤتمر العام يومَ ٢١ فبراير اليومَ العالمي للاحتفاء باللغة الأُمّ من أجل النهوض بالتنوع اللغوي والثقافي. وجاء إعلانُها هذا كجزء من مبادرة جديدة تسعى إلى زيادة الوعي والاحترام لتاريخ وثقافة ومنجزات كل من اللغات الست الرسميةَ والعاملة في مجتمع الأمم المتحدة ، وهي اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والصينية ؛ حيث إن اليونسكو تُقر بأن اللغات تقوم بدور أساسي في نشر المعارف والأفكار بين الشعوب والثقافات ، ويرمز اختيار هذا التاريخ للاحتفال باليوم العالمي للغة الأم (٢١ فبراير) إلى اليوم الذي أطلقت فيه الشرطةُ النارَ عامَ ١٩٥٢م في مدينة دكا ، عاصمة بنغلاديش اليوم ، على طلبةٍ خرجوا متظاهرين للمطالبة بالإعتراف بلغتهم الأم اللغة البنغالية كواحدة من لغتي البلاد الرسمية لِما كان يُعْرَفُ حينئذ بباكستان .

وفي ١٦ مايو عام ٢٠٠٧م أهابت الجمعيةُ العامةُ للأمم المتحدة بالدول الأعضاء التشجيعَ على المحافظة على جميع اللغات التي تستخدمها شعوب العالم وحمايتها ، وأعلنت الجمعية العامة ، في القرار نفسه ، اعتمادَ سنةِ ٢٠٠٨م سنةً دوليةً للغات لتعزيز الوحدة في إطار التنوع ولتعزيز التفاهم الدولي من تعدد اللغات والتعدد الثقافي .

وفي إطار دعم وتعزيز تعدد اللغات وتعدد الثقافات في منظومة الأمم المتحدة ، اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام في فبراير عام ٢٠١٠م قرارًا يقضي بالاحتفال بيوم عالمي لكل لغة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة. وحددت الأيامَ العالميةَ لهذه اللغات على النحو التالي :

– الاحتفال بيوم اللغة الفرنسية في ٢٠ مارس ، الموافق لليوم الدولي للفرانكوفونية – International Francophone Day .

– الاحتفال بيوم اللغة الصينية في ٢٠ أبريل ، تخليدا لذكرى سانغ جيه (Cang jie) مؤسس الأبجدية الصينية .

- الاحتفال بيوم اللغة الإنجليزية في ٢٣ أبريل ، تخليدا للذكرى السنوية لوفاة الكاتب الإنجليزي ويليام شيكسبير .
- الاحتفال بيوم اللغة الروسية في ٦ يونيو ، تخليدا للذكرى السنوية لميلاد الشاعر الروسي إلكسندر بوشكين Alexander Pushkin .
- الاحتفال بيوم اللغة الإسبانية في ١٢/أكتوبر ، الموافق ليوم الثقافة الإسبانية .
- الاحتفال بيوم اللغة العربية في ١٨ ديسمبر ، وهو اليوم الذي أُلْحِقَتْ فيه اللغةُ العربيةُ باللغات الرسمية للأمم المتحدة .

أما سبب اختيار الجمعية العامة للأمم المتحدة يومَ ١٨ ديسمبر للاحتفال باليوم العالمي للغة العربية ، هو أنها كانت أصدرت في التاريخ نفسه عامَ ١٩٧٣م في دورتها العشرين قرارا باعتماد اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية ، وبعد مرور حوالي أربعين سنة على ذلك القرار وتلبيةً لمقترح تقدمتْ به كلٌ من المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية إلى منظمة الأمم المتحدة، قررت الهيئةُ الاستشاريةُ للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية (أرابيا) التابعة لمنظمة اليونيسكو اعتمادَ ١٨ ديسمبر من كل عام اليومَ العالميّ للغة العربية ، وتهدف خطة تنمية الثقافة العربية (أرابيا) التي أنشأتها منظمةُ اليونيسكو عام ١٩٩٩م إلى : توفير إطار يمكن عن طريقه للبلدان العربية تنمية تراثها الثقافي ، بحيث يُصانُ الماضي مع التركيز بوجهٍ خاصٍ على المستقبل ، ويفتح العالم العربي على التأثيرات والتكنولوجيات الجديدة مع الحفاظ على سلامة التراث العربي .

واحتفلت اليونيسكو العامَ الماضي (٢٠١٢م) باليوم العالمي للغة العربية للمرة الأولى ، وقد اتخذت اليونسكو هذا القرار توسيعًا لنطاق استخدام اللغة العربية في أنشطة اليونسكو ، واعترافًا منها وتقديرا لما قدمتْه اللغةُ العربيةُ من مساهمات جليلة وخدمات عظيمة في تاريخ الحضارة والمدنية على مستوى العالم ، كما أقرت بذلك مديرة اليونسكو السيدة إيرينا بوكوفا (Irina Georgieva Bokova) في رسالتها التي أَلْقَتْها بمناسبة أول احتفالٍ باليوم العالمي للغة العربية في عام ٢٠١٢م ، حيث قالت :

(إن الاحتفال باللغة العربية يتيح إبراز ما قدمه كتّابُ هذه اللغة وعلماؤها وفنانوها من إسهام في الثقافة العالمية. فالمؤلفون الذين كانوا يكتبون باللغة العربية هم الذين أتاحوا نقل المعارف الإغريقية إلى اللغة

اللاتينية التي كانت مستخدمة في الغرب خلال القرون الوسطى ، وأقاموا بذلك صلات دائمة لا يمكن قطعها بين الثقافات عبر الزمان ، وتتدرج مؤلفات ابن رشد وابن خلدون ونجيب محفوظ في عداد أعمق مؤلفات العقل البشري ، وهي لا تعبر عن كامل قوتها إلا باللغة العربية ، وهذا الحب للغة والافتتان بها ، اللذان يتجليان مثلاً في فن الخط وفي الشعر ، بما لهما من مكانة مرموقة في الثقافة العربية ، يشكلان البوتقة التي تنشأ منها أعظم الحضارات) .

وكان قد افتخر أمير الشعراء أحمد شوقي بهذه العظمة والرفعة لهذه اللغة المباركة مشيراً إلى حسنها وجمالها ، حيث قال :

إن الذي ملأ اللغاتِ مَحاسِنًا جعلَ الجمالَ وسِرَّهُ في الضادِ

ونحن اليوم إذ نحتفل باليوم العالمي للغة العربية ، لِنَنْظُرْ إلى التحديات والمآزق التي تحيط بلغتنا ، وَلْنَتَأَمّلْ كيف نذود عنها وكيف نحافظ على سمو مكانتها في مواجهة الهجمات والغارات الرامية إلى القضاء على كرامتها وأصالتها ، وَلْنُفَكِّرْ كيف ننهض بها وكيف نُؤَهِّلها لِلتَّمَشّي مع مسيرة الأيام دون تَعَرُّضِها لأي نُقصانٍ أو خُسرانٍ في خصائصها وميزاتها الحِسان ؛ لأنّ وضعَ اللغة العربية في عصرنا الراهن لا يَسُرُّنا ولا يُرضِينا بل يُؤْسِفُنا ويُحْزِنُنا ؛ بحيث إن العربية العامية والدارجة قد تفشت في جميع البلدان العربية تفشياً فاحشاً ، وكثر استعمالُها حتى طَغَتْ على الفصحى : وتدهور وَضْعُ الفصحى واستفحل أمرُها ؛ حتى بلغت التراقيَ أو كادتْ ، وانحصر نطاقها في لفيف من العلماء والمثقفين ، وأصبح الجهلُ بالعربية السليمة والإلمامُ بلغات الشعوب الأخرى مفخرةً لدى ذوي العقول السقيمة ، مع أن ذلك هو المزلقة الحقيقية ، وهو حقا مؤامرة شنيعة حاكها ضدنا أعداؤنا ، ولا أقصد بهذا أن يُستَنْكَرُ تعلُّمُ اللغات الأخرى والتضلعُ منها ، بل إنه أمر جدير بالعناية ، ولكن يجب أن لا نستهين من أجله بلغتنا الأم، وأن لا نتلاعب بها ، رغم إيماننا واعتقادنا أنها أفضل اللغات وأشرفها ، ومن هنا كان لزاما علينا أن نَتَنَبَّهَ إلى هذا الأمر الخطير قبل فوات الأوان ، وأن نستيقظ من سباتنا قبل أن يبكي علينا الزمان. وقد سبق أن نَبَّهَنا إلى ذلك حافظ إبراهيم حين قال :

أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللهُ عَنهُمُ إلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِلِ بِرُواةِ
أَرى كُلَّ يَومٍ بالجَرائِدِ مَزلَقاً مِنَ القَبرِ يُدنيني بِغَيرِ أَناةِ

دراسات وأبحاث :

شرح قصيدة : "الكواكب الدرية

في مدح خير البرية" المعروفة (بالبردة)

للإمام الأكبر إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر

(الحلقة السادسة)

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة *

محمد سيد الكونين والثقل .. .. ين والفريقين من عرب ومن عجم (١)

نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم (٢)

---

(١) قوله " محمد ... الخ" أي الممدوح محمد إلخ ، فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءته بالرفع ، ويصح فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، أي أمدح محمداً ، ويجوز الخبر على أنه بدل من الموصول ، الذي في قوله "وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من .." وقوله "سيد الكونين – " أي أشرف أهل الكونين ، فهو على تقدير مضاف ، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة ، وقوله "والثقلين" أي الإنس والجن ، وإنما سميا ثقلين لإثقالهما الأرض أو لثقلهما بالذنوب ، والعطف في ذلك من عطف الخاص على العام ، وكذلك العطف في قوله والفريقين ونكتة التصريح به في مقام المدح ، ونصف البيت الياء من الثقلين ، فزيادة بعض الناس "خير" قبل الفريقين خطأ ، وقوله "من عرب ومن عجم" بيان للفريقين ، والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب .

(٢) قوله "نبينا إلخ" يجري في قول نبينا أوجه الأعراب الثلاثة كما تقدم في محمد ﷺ ، والإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه ، وقوله "الآمر الناهي" أي عن الله تعالى ، وهذا يستلزم كونه رسولاً فهو في قوة أنه يقول الرسول" (١) وقوله "فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم" أي إذا أمر –

---

(١) لأن أي نبي يأمر وينهى بشرع الرسول الذي هو من أمته ، ومن هنا كانت وظيفة العلماء في أمة سيدنا محمد ﷺ كوظيفة الأنبياء ، ولذلك جاء في الحديث الصحيح : "علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل" أي في تبليغ رسالة الرسول ﷺ وليس في قيمة النبوة وقدرها كما يتوهم كثير من الناس ، فلما قال : "الآمر والناهي" عرفنا أنه يقصد بالنبوة الرسالة لأن الأمر والنهي إنما هو للرسول (أي رسول كان) ﷺ جميعاً .

---

* جدة – المملكة العربية السعودية .

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم (٣)

– ونهي فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي وقد عبر عن النهي بقول "لا" وعن الأمر بقول "نعم ويحتمل أنه كنى بلا عن الخبر المنفي وبنعم عن الخبر المثبت ، إما مطلقاً أو عن الثواب والعقاب ، وبالجملة فهو ﷺ أصدق الناس في الخبر ، ولا "في قوله : ولا نعم زائدة لتأكيد النفي وما ورد من أنه لم يقل "لا" قط محمول على أنه لم يقل لا في شيئ سئل عنه من حوائج الدنيا ، بل إن كان عنده شيئ أعطى للسائل ، وإن لم يكن عنده شيئ سكت أو وعده ، وبالغ بعضهم حتى قال :

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وهذا باعتبار الغالب وإلا ففي صحيح البخاري أن الأشعريين جاء وا إليه ﷺ وطلبوا منه أنه يحملهم قال : والله لا أحملكم (٢) إلى آخر الحديث .

(٣) قوله "هو الحبيب" إلخ الضمير راجع لمحمد أو لنبينا ، والحبيب إما بمعنى محب فيكون اسم فاعل ، أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول ، وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أو لأمته ، لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له ، وهو أيضاً محب لأمته ومحبوب لها ، إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون أحب من المال والولد والنفس ، فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ له : "لأنت أحب إليّ من مالي وولدي والناس أجمعين ، دون نفسي" فقال له ﷺ : "لا يكمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك " فقال عمر رضي الله عنه : "أنت أحب إليّ من نفسي" فقال ﷺ : "قد كمل إذن إيمانك" وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال ببركته ﷺ أو أن ذلك كان كامنا في نفسه ، غير أنه لحدته لم يتنبه لذلك إلا بعد أن نبهه ﷺ ، وهذا هو اللائق بالأدب ولكنه بعيد جداً ، وقوله : "الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم" أي الذي تتوقع شفاعته ، وهي طلب الخير للغير عند كل هول ، فاللام بمعنى عند ، والهول هو الأمر المخوف حال كون ذلك الهول بعض الأهوال المفزعة ، موصوف ذلك الهول بأنه مقتحم فيه ، أي واقع فيه الناس ، فهو من باب الحذف والإيصال ، فحذف الجار واتصل الضمير ، والاقتحام هو الوقوع في الشيئ كرها ، يقال : اقتحم زيد الأمر أي وقع فيه كرها ، وإنما عبر بالرجاء مع أن شفاعته ﷺ مقطوع بها ، إشارة إلى أنه لا ينبغي للشخص أن ينهمك في المعاصي ، ويتكل على–

---

(٢) وقد شرح الشيخ الباجوري نفسه رحمه الله تعالى هذا الكلام في تعليقه على كتاب "الشمايل" للترمذي ص/١٩٧ سنة ١٢٠٥هـ حيث قال : والمعنى المراد أنه لم يقل لا منعاً للإعطاء ، فلا ينافي أنه قال اعتذاراً إن لاقى الاعتذار كما في قوله : لا أجد ما أحملكم عليه ، أو تأديباً للسائل إن لم يلق به الاعتذار كما في قوله للأشعريين : "والله لا أحملكم" فهو تأديب لهم لسؤالهم ما ليس عنده مع تحققهم ذلك ، ومن ثم حلف حسماً لطمعهم في تكليفه التحصيل مع عدم الاضطرار إليه .

دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبل غير منفصم (٤)
فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم (٥)

– الشفاعة ، وله ﷺ شفاعات ، منها شفاعة في فصل القضاء ، حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو إلى النار لشدة الهول ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وتسمى المقام المحمود ، لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون ، وهي مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعة ﷺ في دخول جماعة الجنة بغير حساب ، بل يقومون من قبورهم لقصورهم ، وهذه مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعة ﷺ في جماعة استحقوا النار ، لا يدخلونها بل يدخلون الجنة ، وكذلك هذه مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعة ﷺ في جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها ، وهذه غير مختصة به ﷺ ، بل تكون لغيره أيضاً من العلماء والأولياء ، ومنها شفاعة ﷺ في رفع درجات أناس في الجنة ، وهذه لم يثبت اختصاصها به ﷺ ، لكن جوزه النووي ، ومنها شفاعة ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكفار ، كعمه أبي طالب على القول بأن الله لم يحيه فآمن به ﷺ ، وهو المشهور والذي يحب أهل البيت يقول : إن الله أحياه وآمن به ﷺ (٣) والله قادر على كل شيئ ، ولا ينافي شفاعة ﷺ في تخفيف العذاب عن الكافرين قوله تعالى : ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ لأن المنفي هنا إنما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافي أن يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الأجوبة في ذلك .

(٤) قوله "دعا إلى الله .. الخ" أي دعا إلى دين الله كما قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ (سورة النحل الآية/١٢٥) وهو الإسلام ، ففي كلام المصنف حذف مضاف ، والمفعول محذوف أي عباده ، وهو شامل للملائكة ، فقد دعاهم ﷺ تشريفاً لهم وتعريفاً لما لم يكونوا يعرفونه ، لأنهم إذا عرفوا من آدم عليه السلام ما لم يكن يعرفونه ، فليعرفوا منه ﷺ ما لم يكونوا يعرفونه بالطريق الأولى ، وقوله "فالمستمسكون" أي كما قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا﴾ والمراد من الحبل السبب كما هو أحد إطلاقيه ، والفصم بالفاء القطع من غير إبانة ، بخلاف القصم بالقاف فإنه القطع مع الإبانة ، ونفي الأضعف يستلزم نفي الأقوى ، فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير منفصم ، وإنما لم يقل فالمجيبون له ، وإن كان هو المناسب للدعاء ، تنبيها على أن مجرد الإجابة بالقول ونحوه لا يكفي في النجاة من المهالك ، بل لا بد من الاستمساك به ﷺ كما يفعل من يصعد من مهوى في تعلقه بالحبل والتزامه به وإن قصر في الاستمساك ولو لحظة هوى .

(٥) قوله "فاق النبيين .. الخ" أي زاد ﷺ على النبيين ، وكذا على غيرهم بالطريق الأولى "في خلق" –

---

(٣) للشيخ محمد أبي زهرة رحمه الله تعالى بحث طيب في إسلام أبي طالب في كتابه خاتم النبيين ﷺ .

وكلمهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم (٦)

– بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفي خلق بضمهما وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة ، كالعلم والحياء والجود والشفقة والحكم والعدل والعفة وأمثال ذلك ، فقد اجتمع فيه ﷺ ما تفرق في غيره من تلك الخصال ، وقد ذكر بعضهم أن تمام الإيمان أن يعتقد الإنسان أنه لم يجتمع في أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه ﷺ (٤) .

(٦) قوله "وكلمهم من رسول الله .. الخ" هذا البيت كالدليل للبيت قبله ، والجار والمجرور متعلق –

---

(٤) وذلك لقوله ﷺ : "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" رواه ابن سعد والبخاري في الأدب ، والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان والإمام أحمد والخرائطي في أول المكارم ، وروى مالك في الموطأ قوله ﷺ : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم : ومعناه أن جميع الأنبياء جاؤا بمكارم الأخلاق وبقيت بقية فأولى رسول الله ﷺ أخلاق الأنبياء فالبقية الباقية فكان عليه الصلاة والسلام متمماً ومكملاً للبناء .

واعترض على الناظم بأن مقتضى كلامه أنه ﷺ فاق النبيين في بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، وبعض الخلق بضمهما ، لأن كلا منهما نكرة ، وهي في سياق الأثبات لا تعم ، وهذا ليس بمدح تام لأنه يحتمل بعد ذلك أن يساويهم في البعض الآخر ويحتمل أن يفوقوه فيه .

وعلى هذا فإن كان ما فاقوه فيه مثل ما فاقهم فيه ، حصلت المعادلة وإن كان أكثر انعكس ما قصده المصنف من المدح .

وأجيب بأن المراد "في خلقهم وفي خلقهم" فهما مضافان في المعنى فيعمان على أن النكرة في سياق الإثبات قد تعم ، ولما لم يلزم من كونه فاقهم في ذلك نفي مقاربتهم له ، نفاها بقوله : "ولم يدانوه" أي ولم يقاربوه ، وقوله "في علم ولا كرم" أي ولا غيرهما ، وإنما اقتصر المصنف عليهما لأن العلم رأس الفضائل (*) والكرم رأس الفواضل (*) ولا يرد على ذلك ما ورد النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقوله ﷺ : "لا تفضلوا بين الأنبياء"(*) لأنه محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص ، وليس في ذلك تنقيص لأحد من النبيين لأنا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبي أكمل قال تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٥٣) قال ابن عباس : المراد بالبعض الأول محمد ﷺ .

(*) الفضائل : جمع فضيلة .

(*) الفواضل : جمع فاضلة وهي الأمر الزائد .

(*) متفق عليه من البخاري ومسلم ، ولهذا الحديث سبب وهو أن أحد اليهود زمن النبي ﷺ قال : والذي اصطفى موسى على العالمين يقصد تنقيص النبي ﷺ فقام رجل من الصحابة فصك اليهودي وقال : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فنبه رسول الله ﷺ أصحابه إلى أن الذي يقصده اليهودي ، إنما هو سب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلذلك نهاهم أن يتعدوا فيما وقع فيه اليهودي ، والله تعالى أعلم .

وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم (٧)
فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم (٨)

– بقوله ملتمس ، والإضافة في رسول الله للعهد ، والمعهود هو سيدنا محمد ﷺ ، والمراد من قوله ملتمس : آخذ ، وإن كان الالتماس في الأصل معناه الطلب ، وقوله "غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم" أي حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر ، وبعضهم مرتشفاً من الديم ، فهو إشارة إلى اختلاف لأحوال الملتمسين ، فأولو العزم أكثر التماساً من غيرهم ، فـ "أو" في ذلك للتنويع والتقسيم ، والغرف مصدر غرف بمعنى أخذ ، والبحر ضد البر ، سمي بذلك لعمقه واتساعه ، والرشف : المص ، والديم : جمع ديمة وهي المطر الدائم يوماً وليلة من غير رعد (٥) ، والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه ﷺ ، فكل منهما استعارة تصريحية ، وكل من الغرف والرشح ترشيح ، وإنما عبر في جانب البحر بالغرف ، وفي جانب الدين بالرشف ، لأن الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم ، لأنها تجري على وجه الأرض فلا يجتمع منها ماء حتى يغترف .

(٧) قوله "وواقفون .. الخ" عطف على قوله "ملتمس" لكن نظر في أحدهما اللفظ "كل" وفي الآخر لمعناه ، ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم أنهم ثابتون عنده ﷺ في العلم والحكم عند الحد الذي حد لهم من ذلك فلا يتجاوزونه ، وأما هو ﷺ فلم يزل يترقى بعد ذلك ، فنهاية مراتبهم في العلم والحكم مبدأ ما أوتيه ﷺ منهما ، فوقوفهم لديه ﷺ وقوف ذي الغاية عند مبدأ غيره ، وقوله "من نقطة العلم أو من شكلة الحكم" بيان لحدهم ، والمعنى على التشبيه والإضافة في الموضعين على معنى "من" أي الذي هو كنقطة العلم ، وكشكلة من الحكم ، والمراد من العلم والحكم علم رسول الله ﷺ كما قال بعض الشارحين" ، والمراد بهما : علم الله وحكمه"

وحاصل المعنى على الأول أنهم ثابتون لديه ﷺ في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم رسول الله ﷺ أو كالشكلة من حكمه ﷺ

وحاصل المعنى الثاني : أنهم ثابتون لديه في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الله أو كالشكلة من حكمه تعالى ، فعلمهم بالنسبة لعلمه ﷺ كنقطة من علم الله ، وحكمهم بالنسبة لحكمه ﷺ كشكلة من حكمه تعالى ، وهذا أبلغ في مدحه من الأول ، لكن الأقرب الأول ، وعلى كل فـ "أو" للتنويع والتقسيم ، وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة تميز الحروف المشتبهة الصورة والعلم خاصته التمييز ، لأنه صفة تقتضي تمييزاً لا يحتمل النقيصة بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال ، والحكمة فائدتها وضع الشيئ في موضعه الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام .

(٨) قوله "فهو الذي تم .. الخ" مفرع على قوله "فاق النبيين الخ" لكن على اللف والنشر المشوش ، –

(٥) جمع ديمة : قال في القاموس : والديمة بالكسر – مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم (٩)

– لأن معناه يرجع للخلق بضمتين ، وصورته ترجع للخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، فإن المراد من معناه كمالاته الباطنية كما هو المراد من الخلق بضمتين ، والمراد بصورته صفاته الظاهرة كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، وقوله : ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم" أي ثم اختاره حبيباً خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة : جمع نسمة بفتحات وهي الإنسان ، وإنما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تنبيها إلى أنه تعالى خلقه على تلك الصورة ووفقه لتلك الأخلاق الحميدة ، ومن ذلك يعلم أن "ثم" ليست للترتيب في الصفات كما قال بعضهم بل للترتيب في الذكر والإخبار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بأن يجعل على تقدير مضاف ، والأصل للترتيب في ذكر الصفات .

(٩) قوله :منزه إلخ" أي وهو منزه إلخ ، وقوله عن شريك أي عن كل شريك ، لأنه نكرة في سياق النفي معنى ، فإن المعنى لا يوجد له شريك ، والنكرة في سياق النفي ولو معنى تعم ، وقوله "في محاسنه" أي صورة ومعنى ، وقد تنازعه كل من منزه وشريك ، والمحاسن جمع محسن على القياس ، وقيل : جمع حسن على غير قياس .

واعترض على المصنف بأن النبيين مشاركون له ﷺ في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول "منزه عن شريك في محاسنه" وأجيب بأن ما عندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة ، كما يدل عليه ما ذكره سابقاً في العلم والحكم ، وحينئذ فلا مشاركة ، وقوله "فجوهر الحسن" إلخ مفرع على قوله "منزه عن شريك" إلخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته ، وقوله "فيه" أي الكائن فيه ، وقوله غير منقسم أي بينه وبين غيره لاختصاصه به ، بخلاف يوسف فإنه أعطى شطر الحسن ، وإنما لم يفتن به ﷺ كما افتتن بيوسف عليه السلام ، لا جماله ﷺ ستر بجلاله (٦) فلم يمكن أحداً أن يتأمل فيه حتى يفتتن به (٧) .

(٦) فما رآه احد ﷺ إلا هابه ، وقد ورد أن أعرابياً جاءه فلما رآه أرعد وارتعدت فرائصه فقام إليه ﷺ وسكن من روعه وقال له "هون عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد"

(رواه ابن ماجة والحاكم عن أبي مسعود البدري ورواه الحاكم عن جرير)

(٧) وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها فيه ﷺ :

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده ... لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
وصحب زليخا لو رأين جبينه ... لآثرن بقطع القلوب على الأيدي

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً :

له راحة لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

(البحث موصول إن شاء الله)

دراسة تحليلية نقدية
لستة كتب أردية قيمة في السيرة النبوية

(الحلقة الثانية والأخيرة)

بقلم : الأستاذ غطريف شهباز الندوى *

٣- **محمد رسول الله للدكتورمحمد حميد الله (١) .**

التعريف بالكتاب والكاتب : وكما هو معلوم أن علم السيرة في المعنى العام من لدن ابتدائه قد توزع إلى ثلاثة علوم مستقلة ، الأول وقائع السيرة وأحداثها ، والجزء الثاني تحقيق المغازي وما يتصل بها من أمور ، والثالث السير والقانون بين الممالك في الإسلام ، والدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي الهندي (١٩٠٨ – ٢٠٠٢م) قد قام بأعمال جليلة خاصة على الموضوعات الثلاثة ، وكان أصالةً أستاذاً في حقل القانون الدولي الإسلامي ، وبما أنه كان يعرف ١٢ لغة عالمية ، وكان يقرأ ويكتب في اللغات : العربية ، الأردية ، الإنجليزية ، الفرنسية والألمانية فقد استطاع الاطلاع المباشرعلى كتابات المستشرقين إلى جانب اطلاعه الواسع العميق على مصادر السيرة ومصادر السنة ، ومن هنا فقد وفق لإنجاز أعمال غير مسبوقة في علوم السيرة مثلا ، إنه اكتشف ولأول مرة أن مكة كانت قبل الإسلام دويلةً مستقلةً ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قام بتأسيس دولة مستقلةً في المدينة المنورة وأن ميثاق المدينة هو أول دستور مدون في التاريخ الإنساني كله ، وألّف كتابا وجيزاً مفسراً هذه الفكرة في كتاب (The first written constitution of the world) ثم إنه قام بتحقيق المصادر الثلاثة الأولى للسيرة : أنساب الأشراف للبلاذري ، والسيرة لإبن إسحاق ، وكتاب الردة للواقدي .

ومن مآثره الجميلة ما قام به من عمل جليل على دبلوماسية سفارة

---

* باحث وصحفي وكاتب ومدير مؤسسة الدراسات الإسلامية بنيو دلهي C- 303/3 شاهين باغ جامعة نغر نيو دلهي ، ويمكن الرجوع إليه على الإيميل التالي mohammad.ghitreef@gmail.com .

(١) الدكتورمحمد حميد الله مجدد علوم السيرة .

العهد النبوي وهو عمل غير مسبوق فألف كتابا على القانون الدولي الإسلامي وهوكتاب The Muslim conduct of State ثم ألف كتاباً بالفرنسية في جزئين صدر في ١٩٣٣ – ٣٤ ، بباريس وترجمته الانجليزية Diplomacy during the days of the prophet and the orthodox caliphs ثم أنه جمع كافة الوثائق السياسية والدبلوماسية للعهدين النبوي والراشدي وحققها وطبع في مجموعة باسم مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة وهو عمل غير مسبوق أيضا لم يعهد به التاريخ الإسلامي كله قبله ولابعده ، كما أنه كتب حول حياة النبي (ﷺ) السياسية ، وكما قام بدراسة مسحية ميدانية بضبط وإتقان للساحات الحربية في العهد النبوي .

والمهم جداً أنه زار هذه الساحات بنفسه ودرسها دراسة ضبط وإمعان ومسح وتعيين وأخذ الصور ووضع الخرائط ، وهذه الخرائط يستخدمها عامة كل من يكتب في السيرة ، وبالأسف أن الكثيرين لايذكرون المصدر الأول لها وهي كتابات الدكتورمحمد حميد الله دون شك ، وألف في ذلك أيضاً كتاباً باللغة الإنجليزية التي نقلت إلى الأردية أيضاً ، وصدر في حيدرآباد الدكن بالهند في ١٩٤٤م ، ويقول القرآن الكريم في مبحث غزوة بدر : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فإذا كانت الخريطة أمامنا يتضح كل شيئ جلياً ، وعمل الدكتور حميد الله طيلةَ حياته على مختلف مواضيع السيرة وكتب على وجه التقريب ألف مقال وبحث عن السيرة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام (٢) .

ثم وضع كتابا جامعا حافلا في السيرة وهو باللغة الفرنسية وتم في مجلدين ونقل إلى اللغة الإنجليزية باسم (The prophet of Islam: His life and work) ونقل إلى اللغة الأردية أيضا باسم محمد رسول الله ، وقرأته كله وهوكتاب فذ فريد موجز جامع في بابه يستوعب المعلومات النادرة المتصلة بالمجالات الإدارية والدبلوماسية والسياسية والجوانب الاجتماعية الأخري لدرجة لانجدها عند كاتب آخر في السيرة ، فإن الدكتور محمد حميد الله

---

(٢) انظر الدكتورمحمود أحمد غازي ، محاضرات في السيرة (بالأردية) ، أريب للنشر والتوزيع دريا غنج نيو دلهي طبعة ٢٠١٠م .

تصفح لهذا الغرض كتب الجغرافية والأدب واللغة والمعاجم والتاريخ وغيرها ولم يدخر وسعا في الاستقصاء والاستيعاب ، وبذلك حصل له مالم يحصل لكتاب أقدمين أو معاصرين له ، فإنه فتش عن جوانب بديعة وجوانب غير مسبوقة من عسكريات السيرة وإداريات السيرة وسياسيات السيرة وسفارتها ووثائقها مما لايستهان بقدره وقيمته حتى إنه تطرق أيضا إلى كتابة مقال جامع حول نظام المخابرات العسكرية في العهد النبوي وكان بالإنجليزية بعنوان : (Military intelligence during the time of the prophet of Islam) ، وكتابه محمد رسول الله يشتمل على ١٦ باباً وإليك تعريفاً موجزاً لمحتويات الكتاب :

الباب الأول في نسب النبي ﷺ ومولده ونشوئه إلى النبوة ، الباب الثاني في ضرورة الدين الجديد ونظرة عابرة على الديانات المتواجدة في العالم : الزرداشتية ، البوذية ،الصابئية ، البرهمية (الهندوكية) اليهودية ، والمسيحية ، الباب الثالث الرسالة ومغزاها ، الباب الرابع الدعوة الإسلامية ومكاسبها والإسراء والمعراج ، الباب الخامس في الهجرة وما تبعها من الأحداث ، إقامة دولة المدينة وميثاق المدينة وغيرها ، الباب السادس في العلاقات مع أهل مكة والحروب كلها إلى آخر حجة الرسول (ﷺ) ، حجة الوداع وتكميل الدين ، الباب السابع العلاقات مع القبائل العربية الأخرى ، الباب الثامن العلاقات مع اليهود ، والباب التاسع يتحدث عن العلاقات النبوية الخارجية مع الدول والأمم الأخرى كالبيزنطية والفارس والحبش والهند والصين وغيرذلك من البلدان والدول ، والباب العاشر يتناول تنظيم المجتمع المسلم في العهد النبوي ومايتصل به من أمور كاتخاذ التدابير اللازمة لصيانة القرآن والسنة والسيرة ووثائقها ، والباب الحادي عشر يتناول التعاليم والقوانين الرسالية ، والباب الثاني عشر يتكلم عن الحياة الأسرية للرسول (ﷺ) والأزواج المطهرات وغيرها ، والباب الثالث عشر يلقي الأضواء على المجتمع الإسلامي المدني في العهد النبوي ، والباب الرابع عشر يلقي النظرة العابرة على ماأنجزه الرسول ﷺ وحقق من عمل بنّاء إيجابي إعماري ، والباب الخامس عشر يبحث عن دفنه صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده (٣) .

(٣) أنظر الدكتورمحمد حميد الله ، محمد رسول الله (الترجمة الأردية، نذيرالحق، طبع فريد بك ديو، نيو دلهي سبتمبر٢٠٠٣م .

٤- **السيرة النبوية للإمام الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (٤) .**

التعريف بالكتاب والكاتب : كان أستاذنا الجليل سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي قد تأثربكتاب الأستاذ القاضي سليمان المنصورفوري في السيرة وهورحمة للعمالمين ، تأثراً كثيراً وهوفي طفولته ، فظل الشيخ الندوي (١٩١٤ – ١٩٩٩) طيلة حياته تلميذا على مائدة السيرة النبوية وهو – بدوره – كتب كتابا في "السيرة النبوية" ونقل إلى الأردية باسم "نبي رحمت" ونقل إلى عدة لغات العالم الأخرى وظهرت للكتاب طبعات كثيرة ، وهوكتاب جامع حافل يبحث عن كل ما يمت بصلة من السيرة فيسرد جميع أبواب السيرة المعتادة من الحديث عن العصر الجاهلي قبل البعثة ومكة زمن البعثة وعند ظهورالإسلام ، من الولادة الكريمة إلى البعثة العظيمة ، بعد البعثة ، تصوير المدينة عند الهجرة ، في المدينة ، معركة بدر الحاسمة، غزوة أحد ، غزوة الخندق وما تبعه من غزوة بني قريظة ، صلح الحديبية ، دعوة الملوك والأمراء إلى الأسلام ، وغزوة خيبر وغزوة مؤتة ، وفتح مكة وغزوة حنين وغزوة الطائف وغزوة تبوك ، وعام الوفود ، وحجة الوداع ووفاته صلى الله عليه وسلم .

وقد تطرق المؤلف أيضا إلى أزواج النبي وأولاده وأسباطه وإلى الأخلاق والشمائل النبوية ، وقد خص فصلا خاصا حول فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة. وفي هذا الفصل ركز عنايته على نقاط تالية : إعلان فريد في تاريخ الرسالات والديانات ، قيمة الرحمة التي اقترنت بالبعثة المحمدية كماً وكيفاً ، البعثة المحمدية أنقذت الجيل البشري من الشقاء والهلاك ، مهمة النبوة ودورها في الإنقاذ والإسعاد وطبيعة عمل الأنبياء ، تصوير العصر الجاهلي وتهيؤه للانهيار والانتحار ، العالم الجديد في حساب البعثة المحمدية ومنحها ، منح البعثة المحمدة الست وأثرها في تاريخ الإنسان ، عقيدة التوحيد النقية الواضحة ، مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية ، إعلان كرامة الإنسان وسموه ، محاربة اليأس والتشاؤم

(٤) انظر مراجع حياة أبي الحسن علي الندوي وأعماله : المقالات والبحوث والكتابات في حياته في www.nadwi.net.in موقع الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي

وبعث الأمل والرجاء في نفس الإنسان ، الجمع بين الدين والدنيا وتوحيد الصفوف المتنافرة ، وتعيين الأهداف والغايات ، وميادين العمل والكفاح ، ولادة عالم جديد وإنسان جديد (٥) ، (أنظرالكتاب من صفحة ٤٥٣ إلى ٤٨٦ الطبعة الثامنة) .

مزايا الكتاب : من ميزاته روعة البيان والدراسة المتوسعة المركزة ، وتحليل الأحداث من الوجهة الدعوية النبوية والشمول التاريخي وإبراز معطيات الرسالة المحمدية والدعوة الإسلامية لكافة الإنسانية ، والتركيزعلى الجانب التربوي فى بيان أحداث ووقائع السيرة .

٥- **الرحيق المختوم"للشيخ صفي الرحمن المباركفوري"** .

التعريف بالكتاب والكاتب : ثم ظهرت هناك كتابات أخرى ، ومنها كتاب "الرحيق المختوم" للشيخ صفي الرحمن المباركفوري (١٩٤٢ – ٢٠٠٦) الفائز بالجائزة الدولية الأولى في المسابقة العالمية في السيرة النبوية التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي ، نهج المؤلف في كتابه منهجاً علمياً وقد قسم السيرة في ثلاث مراحل : ففي المرحلة الأولى يلقي الضوء على العرب ، الأرض والشعب والحكم والاقتصاد والديانة ثم يبين المولد النبوي ، فشبابه فبعثته والمرحلة الدعوية في مكة والإسراء والمعراج ، ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية العهد المدني عهد الدعوة والجهاد والنجاح ومراحل الدعوة ، وسكان المدينة وأحوالهم عند الهجرة وتقسيم العهد المدني إلى ثلاث مراحل : (١) مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي (٢) مرحلة الصلح مع العدو الأكبر (٣) مرحلة استقبال الوفود ، ثم ينتقل إلى بيان المرحلة الثالثة للسيرة وهو طور جديد للدعوة وبين فيها مكاتبة النبي ﷺ الملوك والأمراء والبعوث والسرايا وغزوة الفتح وغزوة تبوك ونجاح الدعوة وأثرها وحجة الوداع ثم إلى الرفيق الأعلى كما يلقي الأضواء الكافية على البيت النبوي وفي الأخير يزين الكتاب بذكر شمائل النبي صلى الله عليه وسلم .

مزايا الكتاب : يقول مؤلفه : "ومن منهجي في هذا الكتاب – عدا ما

(٥) أبوالحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية الطبعة الثامنة منقحة ، دارالشروق جدة للنشروالتوزيع والطباعة ١٩٨٩ من صفحة ٤٥٣ إلى ٤٨٦ .

جاء في إعلان الرابطة – أني قررت سلوك سبيل الاعتدال ، متجنبًا التطويل الممل والإيجاز المخل ، وقد وجدت المصادر تختلف فيما بينها حول كثير مما يتعلق بالأحداث اختلافًا لا يحتمل الجمع والتوفيق ، فاخترت سبيل الترجيح ، وأثبت في الكتاب ما ترجح لدي بعد التدقيق في الدراسة والنقد ، إلا أني طويت ذكر الدلائل والوجوه ؛ لأن ذلك يفضي إلى طول غير مطلوب ، أما بالنسبة لقبول الروايات وردها فقد استفدت في ذلك مما كتبه الأئمة المتقنون ، واعتمدت عليهم فيما حكموا به من الصحة والحسن والضعف ؛ إذ لم أجد وقتًا يكفي للخوض في هذا المجال ، وقد أشرت في بعض المواضع إلى بعض الدلائل ووجوه الترجيح ، وذلك حينما خِفْتُ الاستغراب ممن يقرأ الكتاب ، أو رأيت شبه الاتفاق فيما بين الأولين والآخرين على خلاف ما هوالصواب ، والله ولي التوفيق" ، (كلمة المؤلف) ويقول المؤلف ملخصا ماأنجزه الرسول الكريم (٦) .

"فلما قامت هذه الدعوة بدورها في حياة البشرية ، خلصت روح البشر من الوهم والخرافة ، ومن العبودية والرق ، ومن الفساد والتعفن ، ومن القذارة والانحلال ، وخلّصت المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان ، ومن التفكك والانهيار ، ومن فوارق الطبقات ، واستبداد الحكام ، واستذلال الكهان ، وقامت ببناء العالم على أسس من العفة والنظافة ، والإيجابية والبناء ، والحرية والتجدد ، ومن المعرفة واليقين ، والثقة والإيمان ، والعدالة والكرامة ، ومن العمل الدائب لتنمية الحياة ، وترقية الحياة ، وإعطاء كل ذي حق حقه في الحياة ، وبفضل هذه التطورات شاهدت الجزيرة العربية نهضة مباركة لم تشاهد مثلها منذ نشأ فوقها العمران ، ولم يتألق تاريخها تألقه في هذه الأيام الفريدة من عمرها" (٧) .

(٦) صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم ، الطبعة الثانية السعودية، كلمة المؤلف .

(٧) نفس المصدر ص/٧٧ .

٦- "نبي الثورة : للكاتب الإسلامي وحيد الدين خان (٨) .

التعريف بالكتاب والكاتب : كما قد ظهر هناك كتاب للكاتب الإسلامي والمفكر وحيد الدين خان بإسم "نبي الثورة" أو "بيغمبر انقلاب" وأحرز الجائزة التقديرية من الرئيس الباكستاني الراحل الجنرال محمد ضياء الحق ونقل إلى اللغة الإنجليزية ، نبي الثورة في الواقع هودراسة دعوية للسيرة فإنه كتاب سيرة لكن ليس في المعنى العام للسيرة ، فالكتاب الوجيز مشتمل على أربعة أجزاء الجزء الأول من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا المسيح عليه السلام إلى ظهور النبوة المحمدية وما إليها من الموضوعات المتصلة كالقدوة المثالية والأخلاقيات العليا وأسباق السيرة وسنة الرسول ، والجزء الثاني نبي الثورة ، في هذا الجزء يوجز المؤلف وقائع السيرة مع منهج النبي الدعوي وأساليب نبوية في الإصلاح والتربية والترشيد والتوجيه متطرقا إلى الرسول ﷺ في مكة والهجرة ووقائع ما بعد فتح مكة ، والجزء الثالث يبحث عن قضية ختم النبوة ومعجزته الخالدة القرآن الكريم ، وانتقل منه إلى ذكر أصحاب النبي ﷺ وشخصياتهم الفذة ، ومن هنا يخلص إلى إظهار الرسالة في العهد الجديد (٩) .

مزايا الكتاب :

المؤلف يقول إن الثورة الكبيرة التي جاء بها النبي ﷺ والتي لم يعهد بها التاريخ البشري كله ولم ير لها نظير على كثرة الثورات والانقلابات في العالم ، إنها تمت بطريق إيجاد أبطال (أصحاب الرسول) من طراز خاص ومن نوع خاص ، وعليه فعصر الرسالة هو روضة الأبطال ، والمؤلف حين يبرز ملامح الثورة النبوية يقارنها بالثورات والانقلابات العالمية الأخرى كماقارنها أيضا بثورات وحركات أصلاحية وتجديدية قام بهاالمسلمون في العهد الجديد ، ولم يفته توجيه الانتباهات إلى مظان الخطأ فيها ، وجاء بنظرات

(٨) وحيد الدين خان ،هو صاحب كتاب : الإسلام يتحدى ، كاتب ومفكر إسلامي كبير،له أكثر من مئة كتاب ، ونقل أكثرها إلى اللغات العالمية وخاصة الإنجليزية ، وله تفردات وآراء شاذة

(٩) وحيد الدّين خان ، نبي الثورة (بالأردية) مكتبة الرسالة سي ٢٩ نظام الدين ويست نيو دلهي الهند ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م .

نقدية ترشيدية موجهة إلى هذه الحركات ، وهو يركز على اكتشاف المنهج النبوي السليم واستراتيجية العمل الإسلامي في العهد الجديد ، ومن هذا الجانب يمتاز الكتاب من بين كتب السيرة الأخرى ، إنها مجموعة دروس وعبر من السيرة على أنه يعوزه الأحداث ووقائع السيرة .

النظرة العامة على هذه الكتب : حينما نقرأ وندرس هذه الكتب نرى أن كتاب سيرة النبي للشيخ شبلي النعماني قد كتب نظراً إلى ما يعوز الكتابات الأردية والكتابات الإسلامية في شبه القارة الهندية من دراسة جادة شاملة عميقة للسيرة النبوية فكانت هناك شائعات وأكاذيب وموضوعات ومهملات تسمى "بمولود نامة" أوالكتب المحشوة من الموضوعات وهي كثيرة وكثيرة مما كتبه المتأخرون وتقرأ وتدرس في العامة والخاصة ، بإسم السيرة النبوية ، فلا تميز بين السقيم من السليم من وقائع وأحداث السيرة .

ثم كانت هناك حملات متوسعة من قبل المستشرقين والمبشرين من أمثال السير وليم ميور وغيرها فالشيخ شبلي الذي كان له باع طويل في علم السيرة والرجال والتاريخ هو أول عالم هندي – بعد السرسيد أحمد خان – الذي تصدي لمقاومة هذه الهجمة الشريرة الاستشراقية على العلوم الإسلامية عامة والسيرة النبوية خاصة ، والمؤلف الثاني للسيرة والمكمل لها هو السيد سليمان الندوي وله تجربة علمية عميقة ودراسات متعمقة في علوم السيرة وكتب الحديث والفقه ، فقد وسع مجال الكتاب وصاغه على منوال "زاد المعاد من هدي خير العباد" إلا أن ترتيبه وسياقه يفوق سياق زاد المعاد جودةً ومعاصرةً ، فجاءت هذه السلسلة كموسوعة في السيرة النبوية وهومثل فذ فريد في بابه حتى الآن .

أما كتاب رحمة للعالمين فمن ميزاته الخاصة إبراز الجانب الدعوي والتربوي وبناء الخلق النبيل لأحداث ووقائع السيرة مع الإجابة على الإيرادات التي أثارها أفراد من المستشرقين ومن المعاندين الهندوس، إضافة إلى سوق الأدلة والبراهين الفطرية على حقانية الرسالة، وأما السيرة النبوية للشيخ أبي

الحسن علي الحسني الندوي فهو كتاب مادته كلها مستمدة من القرآن والسنة والكتب المعتمدة في السيرة وكتب التاريخ وكتب الفكرالإسلامي كما أنه استفاد إلى حد كبير من التحقيقات والدراسات الجديدة أيضاً ، وهو يحاول إبراز جانب الرحمة وجوانب المساواة البشرية والإخاء الإنساني على المستوى العالمي إلى جانب تطبيق دروس السيرة على الحياة المعاصرة .

وأما كتاب "نبي الثورة" فمن خصائصه البارزة تفسير ما جاء بإنقلاب شامل في الحياة البشرية كلها من ناحية العلم ، البحث والتحقيق ، القضاء على الخرافات والشعوذة ، بناء الحضارة الإنسانية الراقية ، إيجاد الثورة في الفكر والمنهجية وبناء الشخصية الإنسانية السوية المتمثلة في سير الصحابة رضي الله وخلقهم وتعاملهم مع الكون ،والحياة والإنسان وتعاملهم مع الغير الآخر ، وأما كتاب الرحيق المختوم فمن خصائصه البارزة حسن السياق ، والالتزام بصحة الأحاديث وإبراز الجهة الدعوية والرسالية في المغازي النبوية والحملات الجهادية وماينتج منها من دروس وعبر،وتقديم الحياة النبوية في ثوب جديد معاصر وأسلوب منهجي علمي ثابت ، وأما كتاب الدكتورمحمد حميد الله فهويجمع الكثير من الدراسات والتحقيقات الغير مسبوقة في مجال السيرة ولايفوته الجانب التربوي والجانب الدعوي أيضا .

كلمة الختام : وفي ختام المقال نوجز ما كان لكتب السيرة هذه من تأثير بالغ على نفسية وعقلية المسلمين في القارة الهندية ، فإن هذه الكتب قد أدت دوراً بارزاً كبيراً في مكافحة خطر ذوبان المسلمين والانهيار في موجات الحضارة الغربية المغيرة على الشرق من جانب ، وميوعهم في سيول الهندوسية والقومية الهندية الطاغية من جانب آخر ، كما أنها قامت بدور كبير في النهوض بالإسلام والمسلمين إبان غلبة الإنجليز على القارة الهندية ثم بعد استقلال البلاد في سيطرة تيارات الهندوكية الهدامة وفي هيمنة العلمانية واللبرالية الهندية الجارحة.، كما أن كتب السيرة هذه قد عصمت مسلمي الهند أيضا من غارات التصوف الباطل

المشوب بخرافة وحدة الوجود ووحدة الأديان والفلسفات الإلهية الهندية الأسطورية التي لها هيمنة خاصة على الوجدان والعقل الهندي ، ومسلمو الهند بفضل دراسة كتب السيرة ، وبسبب وجود المراكز والمساجد والحركات الإسلامية الإصلاحية أيضا متشبثون بالدين بحمد الله تعالى ، غيورون على ثقافتهم وفكرهم وعقيدتهم يقاومون البدع والخرافات كما يقاومون الفلسفات الهندية القومية .

وهكذا كان لهذه الكتب دور بارز في إحياء الإسلام من جديد وإحياء الشعور الدعوي والوعي الإيماني فيهم ، فهذه الكتب كلها قد ألفت للأغراض الفكرية والدعوية والمقاصد الاجتماعية والأهداف التربوية ، وكل الحركات الإصلاحية والدينية ورجال الفكر وأعلام الدعوة في شبه القارة الهندية قد تتلمذوا على هذه الكتب والكتب الأخرى كهذه ، وخاصة قد تربى جيلنا والناشئة المسلمة الجديدة على "السيرة النبوية" للشيخ شبلي وسليمان الندوي ورحمة للعالمين للمنصورفوري والسيرة النبوية للشيخ الندوي ، فلهذه الكتابات دور رائع كبير في بناء الشخصية الإسلامية على المنهج الإسلامي السليم ، وهكذا حاولت هذه الورقة المتواضعة دراسة القيّمة العلمية لكل الكتابات واستعراض المكانة العلمية ، ومناهج التأليف ، والجهات المخاطبة ودراسة لأهم الموضوعات والمحتويات لها ، ودراسة لما جاء فيها من دروس وعبر ، ودراسة لما تركت هذه الكتب من الآثار البعيدة في إثراء وتربية الشخصية الإسلامية ، ومما ينبغي أن أقترح هنا وألفت أنظارالقارئين الكرام إلى أن مكتبة السيرة النبوية في شبه القارة الهندية مكتبة ثرة وضخمة ، ولاستيعاب هذه المكتبة الثرة وإبراز مكانتها العلمية وتقييمها ونقدها وتقويم مناهجها نحتاج إلى أكثر من بحث كهذا البحث المتواضع ، فلابد من بدء دراسات علمية ومطالعات جادة مزيدة في هذا الموضوع .

❖❖❖❖❖

دور رسالة الغفران في قضية التراث

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد نور الزمان الندوي *

قضية التراث من أهم القضايا المعاصرة ، والأديب الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه وتراث أمته لا يستطيع على أيّ حال أن يعبر عن وجدانها الحقيقي ، وعمل الاستعمار لإبعاد الأديب المعاصر عن تمثيل وجدان الأمة الإسلامية في عهد سيطرته العسكرية على الدول الإسلامية عملين : الأول أنه وضع نظاماً تعليمياً جديداً ، جعل النظام الأوربي الثقافي والحضاري محببا إلى الشباب المسلم ؛ والثاني أنه نقل ما كان في العالم الإسلامي من ذخائر التراث العلمي إلى بلاده ، ثم قدمها إلى العالم مصحوبة بتحقيقات ودراسات لعلمائه الذين حقق بهم مالم يحقق بقواته العسكرية من الأغراض والأهداف التي لخصها نجيب سرور في قوله :

"اسرق تراث أي شعب ، تسرق ذاكرته ، تسرق تاريخه ، تسرق عقله ، تسرق قدرته على التفكير في الحاضر والمستقبل ، تسرق أرضه" (١) .

فنحن إذن في مسيس الحاجة لدراسة هذا التراث المسروق أو المدفون من جديد للكشف عن أصالتنا التي فقدناها جهلا بقيمته وسخي عطائه وجرياً وراء كل ما هو مستورد من الغرب بلا تفكير ؛ كما دعا إلى هذا نجيب سرور بإشارة خاصة إلى التراث العلائي .

إن فهم أبي العلاء بالذات والآن بالذات هو مسألة حياة وموت بالنسبة للقراء العرب في ظل المتغيرات الجديدة في وطننا العربي الذبيح" (٢) .

ولا شك في أن الأمة الإسلامية غنية بتراثها العلمي والأدبي الذي يرجع اليه الفضل الأول في الازدهار العلمي الأوربي الراهن ؛ ومن هذا التراث

---

* قسم اللغة العربية ، جامعة كشمير .

(١) تحت عباءة أبي العلاء ، نجيب سرور ، مؤسسة بحزاني للثقافة والنشر ٢٠٠٧ ؛ ص/٥٤

(٢) نفس المصدر ، ص/٧٣ .

الأدبي رسالة الغفران لأبي العلاء التي ظهر ت لأول مرة في العصر الحديث بمحاولة "نيكلسون" في ١٨٩٩م ؛ فظفرت من الأهمية ما لم يظفر به أي كتاب آخر من تراث الأدب العربي ؛ فهناك قائمة طويلة لمن حققوها ودرسوها من علماء الشرق والغرب .

ورسالة الغفران تتكون من قسمين : القسم الأول عبارة عما قام به المعري من رحلة خيالية إلى عالم الآخر.وأما الثاني فهو رد على رسالة وردت إليه من أديب معروف بابن القارح .

ولا يعنيني في هذا المقال إلا القسم الأول من ناحية خاصة ، وهي صدى صلته بالأدب الأوربي ، وينبغي أن أقدم أوّلاً خلاصة هذه الرحلة الخيالية من كتاب ، جديد في رسالة الغفران الذي قدمت فيه بنت الشاطي نص الغفران لأول مرة في التاريخ كمسرحية أولى في تاريخ المسرح العربي الذي يبدأ عند المؤرخين من خيال الظل" .

الرحلة الخيالية في الغفران :

بدأت هذه الرحلة بأن المعري ينقل ابن القارح إلى الجنة رأسا بفضل ما في رسالته من حمد الله وثنائه ، وهناك يلقى ابن القارح عدداً من الشعراء والأدباء ، فيسألهم عما يهمه من المسائل اللغوية والأدبية ؛ فكان أعشى أول من لقي منهم فوجده قد دخل الجنة مع كفره وانكاره للنبي (ﷺ) بشفاعة النبي نفسه على شرط أنه لن يشرب خمر الجنة ، وثانيا لقي زهيراً ؛ فعلم منه أن سبب دخوله الجنة نفوره من الباطل ووصيته لبنيه باتباع محمد الرسول (ﷺ) وثالثا لقي عبيداً الذي قال له : إنه كان قد دخل أولا الجحيم ، ولكنه تداركته رحمة ربه لبيته هذا :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

الذي ما زال الناس يتغنون به في الدنيا حتى أطلق من الجحيم وأدخل الجنة.ثم سأل ابن القارح عبيداً عن عدي الذي ما لبث أن ظهر ليرد على سؤال سأله ابن القارح عن مغفرته ، فقال : غفر له لأنه كان على دين المسيح ثم استفسر ابن القارح عن إعراب أنت في بيته :

أرواح مودع أم بكور أنت فانظر لأي حال تصير"

قال عدي ضجراً بالسؤال : دعني من هذه الأباطيل ، وتعال معي ؛ نخرج إلى النزهة الممتعة فخرج به للقنص ؛ وبينما هما في النزهة إذا هما بأبي ذويب الهذلي يحتلب ناقة في إناء ، فأسرعا إليه في عجب مما كان فيه وهو في الجنة ثم سأله ابن القارح عن شيئين لم يعجباه في شعره ؛ فزجره قائلا : هذا ليس مقام قريض ، بل هو مقام أكل وشرب كما قيل : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ومر بالنابغتين ؛ فتعجب ابن القارح من وجود الذبياني في الجنة ، ولكن العجب ما لبث أن زال حينما علم أنه لم يدرك النبي (ﷺ) وأقر بالله وحج البيت.وانتهت النزهة إلى انعقاد مجلس أدبي شارك فيه خمسة من الشعراء وأربعة من أئمة الرواة ؛ وأثار فيه ابن القارح عدة قضايا من اللغة والأدب ؛ فسأل الشعراء عنها بمحضر من الرواة ، ثم طلب كلا من الذبياني والجعدي والأعشى بإنشاد قصائد معينة أنكرعليه كل منهم نسبتها إليه ؛ حتى قال الأعشى أخيرا : "وانك منذ اليوم لمولع بالمنحولات" .

وبينما هم بهذا وذاك متمتعون في روضة من رياض الجنة إذ نزلت عليها سرب من إوز الجنة منتظرات ، لأن يأمرهن أهل المجلس ؛ فيغنين لهم ؛ فما هي إلادقائق حتى انتفضن ؛ فيصرن فتيات جميلات لابسات أحسن ثياب الجنة وبأيديهن آلات الغناء ، يغنين لهم ما شاءوا ببراعة مذهلة ، وفي أثناء ذلك يمر عليهم لبيد ؛ فلم يكد يسأله ويناقشه ابن القارح باسم أبي علي الفارسي حتى يغضب لبيد ويقول :

"معترض لعنعن لم يعنه ؛ الأمر أيسر مما ظن هذا المتكلف" .

وفي هذه الحفلة الطربية جاء ذكر الرباب في شعر غنته مغنية ؛ فتسبب في المزاح بين الجعدي والأعشى أولا ، ثم التساخر والتنابز والتشاجر بينهما حتى وثب الجعدي على الأعشى فيضر به بكوز من ذهب ويلوذ بالفرار من المجلس ، وكره ابن القارح نهوضه من المجلس فقال : وهو يخفف من حدة غضبه في هزيئ مشيراً إلى الحور العين : "اختر واحدة منهن فلتذهب معك إلى منزلك تلاحنك أرق اللحان" فحينئذ تدخل لبيد بقوله إن أخذها هو فلا يؤمن أن يسمى زوج الإوزة ، وبينما هم في هذا التمازح مَرَّ عليهم حسان ؛ فيلتفتون إليه مرحبين به :

"أهلا أبا عبد الرحمن ؛ ألا تحدث معنا ساعة" ؟ ثم يسأله ابن القارح : كيف ذكرت الخمر في مدحة النبي (ﷺ) ولم تستحي عن ذكرها ؛ أجاب حسان رضي الله عنه عن ذلك بقوله : "إنه كان أسجح خلقا مما تظنون وما سمع بأكرم منه ، لقد أفكت فجلدني مع مسطح ثم وهب لي أخت مارية" وعرض به قائل كيف جبنك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال حسان : "ألي يقال وقومي أشجع العرب" ؟ ثم لقي ابن القارح خمسة من عوران قيس ودار بينه وبينهم الحديث حول مسائل لغوية مختلفة أبدي كلهم تقريبا عدم رغبتهم في مثل هذه المسائل ؛ لأنها غير مهمة لديهم بالنسبة إلى لذات النعيم أو لأنهم نسوها في أهوال المحشر ، ولذلك تعجبوا من حفظ ابن القارح هذه الأشعار كلها ؛ فكأنه لم يمر بأهوال المحشر ولكن ابن القارح أزال دهشتهم قائلا : إنه كان يدعو في الحياة الفانية أعقاب الصلوات الخمس مخلصا أن يمتعه الله بأدبه في الدنيا والآخرة ، ومع هذا لم يمكث في المحشر إلا ستة أشهر من شهور العاجلة وقص عليهم قصته الممتعة لدخول الجنة وبين فيها ؛ كيف تم دخوله الجنة بشفاعة آل البيت : قصة بلغ المعري فيها قمة الفن في السخرية بأسلوبه القصصي الأخاذ الجذاب .

ثم صنع ابن القارح مأدبة دعا إليها من شعراء الخضرمة والإسلام واللغويين والنحويين والمغنين والمغنيات من أمكن ، فيدور الحديث بينهم حول مسائل اللغة والنحو في جو عامر بالغناء والطرب ، ويخلو ابن القارح بحوريتين مبهوراً بجمالهما ؛ فلماعلم فيما بعد أنهما من نساء الدنيا ، صاح على ملك من الملائكة مَرَّ به (فأين اللواتي لم يكن في الدار الفانية) ؟ فمضى به الملك إلى حديقة من الحدائق فقال له : خذ ثمرة من هذا الشجر ، فاكسرها ؛ فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور فخر ابن القارح ساجداً عند ما خرجت من ثمرة كسرها هو جارية متلألئة الوجه تقول : "إني أمني بلقائك قبل أن يخلق الدنيا بأربعة آلاف سنة" ثم وصل ابن القارح إلى جنة الجن المختلفة عما قد شاهده من جنة الإنس وذكرله سيد من سادة الجن سبب ما بين جنة الإنس وجنة الجن من فروق ، وهناك عرف أن الجن يعرف جميع لغات الإنس ثم لقي في آخر الجنة الحطيئة الذي لم يصل إلى الجنة إلا

بالبيت الصادق الذي هجا به نفسه وهو قوله :

أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حـــامله

ووجد في أقصى الجنة الخنساء تطلع على أخيها صخر وحاله في جهنم كما قالت فيه "علم في رأسه نار".

فلما اطلع ابن القارح على الجحيم وجد إبليس يضطرب في الأغلال والسلاسل فحمد الله موجها خطابه إلى إبليس نفسه "الحمد لله الذي أمكنك يا عدو الله" "فجرى التعارف بينه وبين إبليس قال له إبليس فيه: "إن لي إليك حاجة ، فإن قضيتها شكرتك يد المنون" فظن ابن القارح أنه يريد مساعدته في إنقاذه من هذا العذاب الذي هو فيه ، ولذلك أنكر قائلا : "إني لا أقدر لك على نفع فإن الآية سبقت في أهل النار ولكن إبليس قال له : إني أريد غير ما ظننت ؛ فسأل سؤالاً لم تجرأ بنت الشاطئ على نقله فاكتفت بالإشارة إليه بقولها في المربعتين" يسأله اللعين عن أهل الجنة والولدان المخلدين "ووجده ابن القارح متشوقا إلى بشار وعارفا بجميله في هذه الحالة أيضا : فيسأله عنه سؤال حبيب عن حبيب له ؛ لأنه رجل وحيد من بني آدم فضل إبليس على آدم ؛ فما كان من بشار إلا أن ظهر تواً وسط النيران المضطرمة ، فسأله إبن القارح عن مسائل عدها بشارمن الأباطيل ؛ فرفض أي رد عليها بقو له : "يا هذا دعني من أبا طيلك ، فإني لمشغول عنك".

ولقي ابن القارح في الجحيم من الشعراء مع إمرئ القيس وعنترة ، وعلقمة بن عبده ، وعمر بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة ، ومهلل ؛ فلم يجيبوا جواباً عما كان يهمه من أمر شعرهم وأخبارهم ؛ ولذلك قال عند ما رأى أوس "يا أوس ! إن أصحابك لا يجيبون السائل ؛ فهل عندك من جواب ؟ ولكنه لا يجيب ؛ فنظر يميناً وشمالاً فإذا الأخطل يتضور ويتململ ! فالتفت إليه بسرعة سائلا عما كان يريد أن يسأله و أخذا في أطراف الحديث حتى أظهر فيه الأخطل التأسف على ما مضى من أيام بهجة وسرور مع يزيد ، فتعجب منه ابن القارح وقال : "عليك البهلة ! قد ذهلت الشعراء من أهل الجنة والنار عن المدح والنسيب وما شدهت عن كفرك ولا إسائتك" وهنا تدخل إبليس اللعين مغريا خزنة النار بسحب ابن القارح إلى جهنم بقوله : "ما رأيت

أعجز منكم إخوان مالك ؟ ألا تسمعون – مشيراً إلى ابن القارح – هذا المتكلم بما لا يعنيه ؛ قد شغلكم وشغل غيركم عما فيه ، فلو أن فيكم صاحب نحيزة قوية ، لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه إلى سقر".

ولما سمع ابن القارح هذا الإغراء غضب ؛ فأخذ يشتمه ويلعنه ويظهر الشماتة به ؛ فسرعان ما قال إبليس : ألم تنهوا عن الشماتة يا بني آدم ؟ ولكنكم بحمد لله ما زجرتم عن شيئ إلا وركبتموه .

ثم أسرع ابن القارح ؛ فعاد إلى قصره خوفا أو مللا وفي طريقه إليه ذكر أنه أغفل شعراء مشهورين ؛ فرجع على أدراجه ولقيهم واحداً بعد الآخر وحاورهم فيما يشغل العلماء من أشعارهم ، ولكن قل منهم من أجاب ؛ فلم يبق إلا أن يعود وفي أثناء العودة لقي آدم (عليه السلام) فسأله ابن القارح عن شعره المروي عنه فأبى فلما قال له ابن القارح" : فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت ؛ فقد علمت أن النسيان متسرع إليك" رد عليه آدم في لهجة غاضبة" آليت ما نطقت هذا النظيم ولا نطق في عصري ؛ كذبتم على خالقكم وربكم ثم على آدم أبيكم ثم على حواء أمكم وكذب بعضكم على بعض ومآلكم في ذلك إلى الأرض".

ففر ابن القارح من وجه أبيه إلى قصره ماراً بروضة الحيات التي وجد فيها حية فقيهة بالعربية كانت تسكن في بيت الحسن البصري وتسمعه يتلو القرآن ليلا ؛ فهكذا كانت قد حفظت القرآن كله ؛ ودعت هذه الحية ابن القارح إلى الإقامة معه لتمتعه بمتعة لم يجد مثلها قط ، ولكنه خاف ؛ فجرى مذعورا إلى غيطان الجنة .

ويكمن سر أهمية رسالة الغفران فيما قام به المعري من هذه الرحلة الخيالية التي نقلتها آنفا ملخصة مقتضبة ، وجاءت هذه الأهمية عن طريق صلتها بالآداب اللأوربية التي تسمى اليوم الآداب العالمية ؛ التي يحاول كل شعب أن يصل إلى مصافها في أدبها بما يملك من طاقة وحيوية ؛ فأشار إلى هذا شوقي ضيف بقوله :

"إن أهمية رسالة الغفران إنما يرجع إلى القسم الأول منها ؛ إذ قرنها الباحثون بسببه إلى الكوميديا الإلهية لدانتي ، محاولين النفوذ إلى بيان تأثره بها

ومدى هذا التأثر وهو تأثر تقوم عليه أدلة كثيرة ، وبذلك لم يصنع أبو العلاء "كوميديا إلهية" فحسب ، بل أثر بها أيضاً أثراً عميقاً في الآداب العالمية" (٣) .

وهنا اتضح لنا أمران : وهما أن الآداب العالمية متأثرة بالغفران عن طريق الكوميديا الإلهية ، وأن لتأثرها برسالة الغفران دلائل كثيرة ؛ فمدار مقالي هذا على البحث عن أدلة هذا التأثر في ضوء الواقع :

فقال لويس عوض : "كثير من المواقف والصور والعبارات نجدها في "الكوميديا الإلهية" ولا نجد لها نظيراً في قصة المعراج ولا يسهل تفسيرها إلا بافتراض اطلاع دانتي على رسالة الغفران في صورة من صورها مترجمة أو ملخصة أو معروضة باللاتينية" .

وقدم دلائل متعددة متنوعة على ذلك ؛ ومنها مثلا :

١- وقف دانتي عندما وصل إلى سماء العنبر أمام بطرس حامل مفاتيح الفردوس في المسيحية تم أمام يعقوب ويوحنا : فامتحنوه في مبادئ العقيدة لمعرفة مدى إيمانه فإجازته لدخول الفردوس. وقف ابن القارح (بطل الغفران) أمام خازن الجنة و مثل بين يدي حمزة وعلي ؛ فناقشاه قبل دخوله الجنة .

٢- في الكوميديا ملائكة النور تتكون منها دائرة تدور حول نفسها دوران الرحى السريعة وفي رسالة الغفران توجد كذلك أرحاء من العسجد تدور دوران الأفلاك .

٣- في الكوميديا الألهية قصة آدم (عليه السلام) التي يصرح فيها أن اللغة التي كان يتكلم بها انقرضت قبل صرح بابل وفي رسالة الغفران كذلك قصة آدم ذكر فيها أنه لم يتكلم بالعربية بعد هبوطه على الأرض .

والى جانب ذلك ، دراسة الكوميديا قد ذكرت لويس عوض بعض مواقف الغفران مما جعله يؤكد ويرجح أن دانتي كان على معرفة برسالة الغفران : فمثلا تصويره إبليس ووصفه لجحيم الجن ووصفه الزنادقة وأخيار الناس في العهد الوثني كلها عنده كأنها نسخة مصورة لمناظر الغفران (٤) .

---

(٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ١٩٧٥ ص/٢٧٦ .

(٤) على هامش الغفران ، لويس عوض ، دار الهلال ١٩٦٦ ص/١٦٠ .

وأشار لويس عوض كذلك إلي بعض النواحي الهامة المشتركة بين "رسالة الغفران" "والكوميديا الإلهية" التي تدل عنده بوضوح على أن دانتي قد اقتبس من رسالة الغفران ؛ فمن أهمها المنهج والهيكل العام لرسالة الغفران والكوميديا الإلهية ؛ فيقول في ذلك :

"فإذا نحن تأملنا الهيكل العام لرسالة الغفران وجدناه يقوم على محاورات المعري مع الشعراء في الجنة ، واذا نحن تأملنا الهيكل العام للكوميديا الإلهية وجدناه يقوم على محاورات دانتي مع القديسين وفلاسفة الدين ، فالهيكل واحد والمنهج متشابه رغم اختلاف مقصد الشاعرين" (٥) .

وليس هذا فحسب ، بل كانت رسالة الغفران عند لويس مصدرا ثانياً للكوميديا الإلهية ؛ فقال تبيينا لمدى تأثيرها في الكوميديا الإلهية لدانتي :

"في اعتقادي أن أكبر مؤثرين في بناء الكوميديا الإلهية كانا بحسب الترتيب في الأهمية هما قصة المعراج أولا ، ورسالة الغفران ثانياً ، وقد رأينا أن قصة المعراج كانت في متناول دانتي في ترجماتها الأوربية ، وليس يستبعد أن رسالة الغفران كانت أيضا في متناول يده في ترجمة لاتينية ضائعة ؛ لأن أوجه الشبه بينها وبين الكوميديا أوضح مما يمكن أن ينسب إلى محض المصادفة أو توارد الخواطر بين الشعراء" (٦) .

إن طه حسين أيضا يعترف – ولو بعبارة غير صريحة – بتأثير رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية والجنة الضائعة فنجده يقول .

"والقول الفصل في رسالة الغفران يحتاج إلى كتاب خاص ، نرجو أن نوفق إليه ، وحسبنا أن نقرر الآن أن هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب ، والفرنج يشبهونها بكتاب دانتى الطياني الذي سماه وكتاب "ملتن" الإنجليزي الذي سماه La Comedic Devine (الجنة الضائعة) (٧) .

وقال في موضع آخر رداً على العقاد .

---

(٥) نفس المصدر ، ص/١٧٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص/١٤١ .

(٧) تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ؛ ص/٢٢ .

وهو – العقاد – يعلم أن دانت إنما صار شاعراً نابغة خالدا على العصور بشيئ يشبه من كل وجه رسالة الغفران هذه ، استغفر الله إن من بين الأوربيين الآن من يرى أن شاعر فلورنسا قد تأثر بشاعر المعرة قليلا أو كثيراً (٨) .

وقرر جرجي زيدان أثر رسالة الغفران في الأدب الأوربي بقوله :

"ولها (رسالة الغفران) شأن خاص من حيث موضوعها وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والإسلام وأدبائهم والرواة والنحاة على أسلوب روائي خيالي لم يسبقه إليه أحد كما فعل دانتى شاعر إيطاليا في "الكوميديا الألهية" وما فعل ملتن في "الفردوس المفقود" لكن أبا العلاء سبقهما ببضعة قرون ، لأن دانتي توفي سنة ٧٣٠هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤هـ وتوفي أبو العلاء سنة ٤٤٩هـ .

فلا بدع إذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه وأقدمهما دانتي لم يظهر إلا بعد احتكاك الإفرنج بالمسلمين ، والإيطاليون أسبق الإفرنج إلى ذلك" (٩) .

وجزم عمر أنيس الطباع بأن فكرة تأثير رسالة الغفران في الأدب الأوربي جديرة بالقبول من حيث إنها هي التي دفعت "ملتن" لأن يكتب ؛ "الفردوس الضائع" وفي ذلك يقول :

"ومع أننا لا نميل إلى الأخذ بالنظرة التي قد ترى في الفردوس الضائع تقليد الغفران كذلك لا نميل إلى الأخذ بالنظرة التي قد ترى الإنتاج الأول مجرد توراد فكري دعت إليه حالة شعورية أو نفسية إنسانية مشتركة حتى ولو تباين المضمون في كليهما تبايناً كلياً .

فغفران أبي العلاء سابق في الزمن ، ولا يشك في أنه قد عرف في الأدب الأوربي فمن شأنه أن يشكل على الأقل عنصراً محفز الخيال ملتن

(٨) حديث الأربعاء ، طه حسين ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ج/٣ ص/١٠٣ .

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، ج/٢ ، ص/٢٦٥ .

للقيام بهذه الرحلة الماورائية التي صورها لنا في فردوسه" (١٠) .

وكذلك قبل عمر أنيس تأثير الغفران في "الكوميديا الإلهية" لأن هناك عنده دليلا استقرائيا بجانب الدليل التاريخي الذي ذهب على أساسه كثير من الباحثين إلى تأييد هذه الفكرة فقال :

ونحن وان كنا نرى إمكانية هذا الاقتباس عن طريق الترجمة وانتقال الثقافة العربية بطريق الأندلس إلى الحاضرات الأوربية في تلك الفترة فلا يسعنا أن نقبل هذا دليلاً نهائياً لا يقبل الرد لا سيما وان من شروط الأدب المقارن وجود الأدلة المحسوسة إلى جانب البحث والاجتهاد في التعليل التاريخي .

وبيَّن دليله الاستقرائي في نقاط أربع فيما يلي في صورة الموازنة بين طريقي كل من "رسالة الغفران" و "الكوميديا الإلهية" :

١- "يستعين دانتي للهبوط إلى جهنم بروح فيرجيل شاعر الاتين ، في الوقت الذي استعان فيه المعري بشخصية ابن القارح ، وهذا حاصل قد لا يشكل حجة أساسية لو لا أن دانتي يخطئ الاستعارة ؛ فيرتفع بروح "فيرجيل إلى الجنة وهو وثني ودانتي يمجد المسيحية" .

٢- "يجتمع دانتي بالشعراء في الجحيم ويدور بينه وبينهم الحوار يعترفون فيه له بالفجور ، فنرى في هذه النقطة إرثا من آثار مجالس الأدباء في حضرة ابن القارح" .

٣- يصور لنا دانتي الجسر الذي عبر عليه في جهنم بالطريقة التي يصور بها المعري الصراط الذي عبر عليه ابن القارح إلى النعيم .

٤- يجتمع دانتي عند المطهر بشيخ يمنعه من الدخول ويصف لنا تدخل امرأة تفسح له مجال الولوج ؛ فلا يبعد هنا عن موقف ابن القارح مع رضوان وتدخل فاطمة الزهراء لمساعدته على بلوغ الجنة (١١) .

ولم يقتصر الأمر على تأثير الغفران في الأدب الأوربي فقط ، بل تعدى

(١٠) عبقرية الخيال في رسالة الغفران ، دار الهلال ١٩٦٦ ، ص/١٠١ .

(١١) عبقرية الخيال ، ص/١٠٥ .

إلى أن قال بعض الأدباء والنقاد بأن الأدب الأوربي في بعض أعماله الرائعة وانتاجاته الخالدة إنما هو تقليد ومحاكاة لرسالة الغفران ؛ فقال عبد العزيز الميمني :

"وما ملتن الإنجيلزي صاحب الفردوس الغابر إلا من الأتباع ومثله شاعر الطليان دانتي في كتابه" .

وقال الأستاذ كرد علي : "إن أعمى المعرة كان معلما لنابغة إيطاليا في الشعر والخيال" .

وتأثرا بذلك كله قالت بنت الشاطئ : إن المسألة في الحقيقة ليست مسألة تأثير وتأثر ، ولا تقليد ومحاكاة ، المسألة إنما هى من قبيل توارد الخواطر بين الشعراء ؛ من هنا جاء نقدها للأقوال المذكورة في الفصلين المستقلين من كتابها "رسالة الغفران دراسة نقدية" باسم ١- "الغفران والجنة الضائعة" ، ٢- "الغفران والكوميديا الإلهية" .

قالت في الفصل الأول : ليس هناك بحث جدي يقيم هذه المسألة على أسباب جديرة بالنظر ، وليس هناك إلا مشابهات اشترك فيها الشاعران : ألا وهي المحنة والذكاء والجراءة في إبداء الرأي ؛ وهي ظواهر تقابلها ظواهر أخرى مما اختلف فيها الشاعران اختلافاً لا يوجد في البيئة فقط ، بل في أسلوب الحياة وظروف العيش : فأحدهما مناضل خاض معركة الحياة وشارك في السياسة مشاركة فعالة وهو لسان الحزب الجمهوري ؛ وجهاده في سبيل الحزب أدبياً ليس أقل وأهون شأنا من جهاده العملي ، وخير مثال لهذا كتابه الرائع "دفاع عن الإنجليز" ؛ بينما صاحب رسالة الغفران عاش رهين ثلاثة سجون على حد تعبيره منذ ما انسحب عن معركة الحياة في عز شبابه .

ونقدت قول جرجي زيدان بقولها :

"قول جرجي زيدان قول ضعيف لا ينهض دليلا في مثل هذه القضية الخطيرة ولو جاز الاكتفاء بالسبق الزمني واحتكاك الإنجليز بالمسلمين دليلا في تلك القضية الكبرى : لما سلم شاعر غربي يعالج موضوعا إنسانياً عرفه العرب من قبل من تهمة الأخذ والتقليد" .

(يتبع)

من أعلام النثر الفني :

أبو منصور الثعالبي (٣٥٠هـ – ٤٢٩هـ)

بقلم : الدكتور فردوس نذير بت *

لمحة عن تطور النثر الفني :

ما أن استهل العصر العباسي الثاني حتى بدأت مرحلة جديدة للنثر العربي وفنونه ، وتلك هي مرحلة الإنشاء والترسل التي اعتمد فيها الكتاب على التنميق والصناعة ، وذلك بطريق الخوض في السجع القصير ، والجناس ، وتضمين الكتابة الملح من التاريخ والعلوم ومختار الأمثال وأطايب الأشعار ، والاستشهاد بالنظم في غضون النثر ، والتوسيع في الخيال ، والتشبيه مع إجادة المعنى وسلامته ، وكان مما ساق النثر إلى سيل هذا التيار فالترف والبذخ الذي دخل الحياة العربية في هذا العصر وكذلك الزخرفة الحضارية التي أقبلت تعيشها البلاد العربية وغيرها قد اقتضت التأنق والتنميق في جيمع وسائل الحياة والتزخرف بزخارفها الساطعة إلى زخرفة في الأدب شعراً ونثراً .

استمر النثر الأدبي يستكمل عناصر رقيه وازدهاره حتى أشرف القرن الرابع الهجري الذي بلغ فيه أوج كماله بما تيسر له مناخ من الحضارة والثقافة والعلوم والنهضة الفكرية ، فعمد الكتاب والمترسلون إلي الاهتمام بالمحسنات اللفظية والمعنوية بصورة كبرى قل نظيرها على تتابع القرون المنصرمة ، ومما فاق التزامه من المحسنات في هذا العصر فولع الكتاب بإيثار البديع الغالب عليه الصبغة الفنية بأنواعها المتنوعة وأشكالها المتشعبة من جناس وطباق ومقابلة وتورية وما إلى ذلك من أدوات الاصطناع التي ألم بها الكتاب السابقون إلماما بسيطاً (١) .

---

* دلهي الجديدة .

(١) زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجري : المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ ، ج/١ ص/١٠٥ .

كثر فيه استخدام السجع وإغرام أهله به ، هو شرط من شروط الترسل والكتابة في هذا العصر لم يقلع عنه كاتب أو منشئ إلا ما ندر ، وقد أبدع فيه الكتاب صوراً جميلة حسن الوقع والانسجام ، كما تفنن به المترسلون في الرسائل المطولة التي يراد بها تقييد مناظرة أو شرح مسألة كالذي وقع فيما كتبه بديع الزمان الهمذاني عن المناظرة التي دارت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي وكالرسالة التي كتبها الخوارزمي إلى الشيعة بنيسابور (٢) .

قفز النثر الفني في هذا العصر قفزات مدهشة إلى الأمام ، شاركت فيه الكتابة الديوانية والاجتماعية مثل الرسائل السلطانية والإخوانية بوجه خاص ، تراوحت موضوعاتها بين الشكر والاعتذار والتهنئة والوعود والمدح والذم والتهكم والتندر ، وهذ حافلة بالحكم والأمثال والنكات الأدبية والفكاهات الفنية ، غير أنه كثرت فيها التفخيمات والتهويل ، حتى إنها بقيت أداة لتقييد الخواطر ، وميداناً لإظهار البراعة ، ومصنعاً من مصانع التطريز والتوشية فقط .

وأكبر تحول شهد الأدب العربي خلال تلك الفترة غلبة ميزة الشعر على النثر ، وذلك بما عمد كتاب هذا القرن إلى بعض الموضوعات التي كانت تخص بالشعر : الغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف وغيرها حتى إنهم أخذوا ينقلون إلى النثر محاسن الشعر من الاستعارة والتشبيه والخيال وما إلى ذلك ، وكان من ثمار ذلك أن أصبح النثر أقدر من الشعر وصفاً لما تخلى من التمسك بالأوزان والمداومة على القوافي (٣) ، وهذا النثر الذي وصفه زكي مبارك بقوله .

"أصبح النثر في القرن الرابع أداة لتقييد الخواطر النفسية ، والملاحظات الفنية ، بحيث يرى القارئ من جمال الصنعة ودقة الأسلوب ما يغنيه عن التفكير في قصائد الشعراء الذين سبقهم هؤلاء الكتاب إلى تصيد ما يقضى به العقل ، أو يوحى به القلب ، أو يشير إليه الخيال" (٤) .

(٢) نفس المصدر : ص/١٢٨ .

(٣) بطرس البستاني : أدباء العرب في الأعصر العباسية ، دار الجيل بيروت ، ١٩٧٩ : ص/٣٧٤ .

(٤) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ج/١ ، ص/١٠٧ .

واللافت أن دخول العناصر الأعجمية في حياة العرب الفكرية والثقافية في هذا العصر كان مما أحدث في طبائعهم الميول إلى الفنون الزخرفية ، إذ كان الشعب الفارسي – على اختلاف ذوقهم – أكثر الناس احتفالاً بالزركشة والتنميق في الأدب حتى إنهم طالما تعدوا في ذلك حدود الفن والصناعة ، وقد أخرج إقليم فارس في هذا العصر ثلة من كبار المترسلين ، والفحول المبدعين الذين نضجت على أيديهم ثمار الفنون النثرية بما أغنوها بزبدة أفكارهم البديعة المعروضة عرضاً جذاباً ، حسن الصياغة ، جيد السمك من أمثال ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) وبديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ) ، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) وأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وغيرهم من أئمة البيان العربي وعمد فن الإنشاء والترسل (٥) .

الثعالبي ناثراً :

إن أبا منصور الثعالبي هو كما قال جرجي زيدان "خاتمة مترسلي هذا العصر الخاتمة" (٦) ثم هو ناثر بديع الكتابة ، سليم التصرف ، رائق الفكر ، صادق الوجدان (٧) ، وهو منشئ متأنق له أسلوب صاف منسجم متمش مع ذوق العصر حيث يتصف بالعذوبة والرقة ، وجمال اللفظ ودقة المعاني ، وكان هذا الأسلوب قدوة لكثير من الكتاب الذين أتوا بعده فساروا على نهجه ، مثل الباخرزي صاحب "دمية القصر" والبيهقي صاحب "الوشاح" وكذلك الحظيري صاحب "زينة الدهر" وابن بسام صاحب "الذخيرة" وغيرهم من أرباب الفن وأبناء الزمان الذين احتذوا حذوه ومشوا على غراره (٨) .

استغل الثعالبي في نثره أسلوب ذوي العصر ، وافتتن بالمحسنات اللفظية التي أغرم بها حتى أصبح التزخرف في العبارة من أخص غاياته لم يصرف عن صبغه الأنيق وكسائه البديع إلا نادراً ، وقد فاق إقبال الثعالبي

(٥) أدباء العرب في الأعصر العباسية : ص/٣٧٧ – ٣٧٨ .

(٦) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، ج/٢ ، ص/٢٧٨ .

(٧) الثعالبي : ثمار القلوب ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة) دار المعارف ، ٢٠٠٩م – ص/٦ .

(٨) الثعالبي : يتيمة الدهر ، شرح وتحقيق ، مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/١ ، ٢٠٠١م ، ج/١ ، ص/٢٠ .

على السجع بين كآفة الفنون البديعية ، غير أن سجعه لم يكن سجعاً متكلفاً ممجوجاً ، بل إنه يتسم بالخفة والعذوبة ، وجمال الإيقاع والحلاوة ، ويخلو من المبالغة والغموض المفرط ، وقد وصفه زكي مبارك فقال ، "نثره جيد ، يغلب عليه السجع ، ولكنه برئ من التكلف ومن الغموض" (٩) ، ومن المتمثل لهذا الأسلوب السلس قول الثعالبي يصف فيه عبيد الله الميكالي :

"ومن أراد أن يسمع سر النظم ، وسحر الشعر ، ورقية الدهر ، ويرى صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده ، وأثمره عالي فكره ، من ملح ، تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتتشرب بالقلوب لسلاستها ..... ويقول :

وإن أنس فلا أنسى أيامي عنده بفيروزآباد ، إحدى قراه برسداق جوين ، سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سبل القطر ، فإنها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية ، مع جلائل إنعامه المذكورة ، ودقائق إكرامه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيابها الواصفون ، أنموذجات من الجنة التي وعد المتقون ، فإذا تذكرتها في تلك المرابع ، التي هي مراتع النواظر والمصانع التي هي مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف مطارفها ، طوي لها الديباج الخسرواني ، ونفي معها الوشي الصنعاني ، فلم تشبه إلا بشيمه ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، تذكرت سحراً وسيماً وخيراً عميماً ، وارتياحاً مقيماً وروحاً وريحاناً ونعيماً" (١٠) .

ينطبع نثر الثعالبي بالطابع الفني ويمثل جانباً من الرقي الحضاري ، ولا شك أنه أديب على أسلوب أهل عصره الذي غلب فيه الاهتمام بالمظاهر والاحتفال بالقشور دون اللباب إلا أن التيار المعاصر لم يمنعه من جانب التأنق في الأسلوب ، والتشجيع في الألفاظ عن الالتزام بناحية الوضوح وحسن الانسجام ، وذلك بما يرى أن "أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ويؤيس مصنعه" ولما يؤمن بأن "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه

(٩) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ج/٢ ، ص/١٨٠ .

(١٠) الثعالبي : فقه اللغة وأسرار العربية ، وتحقيق جمال طلبه ، اتحاد بك ، دبوبند ، ص/٣١ – ٣٢ .

وناسبت صدرو إعجازه" (١١) .

ومن نثر الثعالبي ما يتسم بحسن التنسيق ، وصوغ التراكيب ، وجدة السبك ، وسهولة الأداء مع شرف الغاية وكرم المقصد ، ومن هذا النثر ما يجري علي السجية السمحة ويتخلى من مظاهر الالتواء وأشكال التصنيع ، ولعل من أروع ما ترك الثعالبي في هذا الباب كتابه "ثمار القلوب" الذي وصفه زكي مبارك بأن "من أنفس ما كتب باللغة العربية ، ولغة الثعالبي فيه تمتاز عن لغته في سائر كتبه بالخلو من السجع ، والجرى على السجية السمحة بلا تعثر ولا التواء ، وقد جمع الثعالبي في كتابه هذا أكثر ما عرف لعهده من الطرف والنوادر والفكاهات والأقاصيص ، وهو يصور علم معاصريه وجهلهم أتم تصوير ، ولهذه الملاحظة قيمتها" (١٢) .

فأسلوب الثعالبي "ثمار القلوب" يتسم بدقة دون تطبع ، ويتصف بجدة الصياغة دون تصنع ، حيث يمثل ولع صاحبه بتصيد جمال الألفاظ ودقائق المعاني ، فيتحلى هذا الكتاب بحسن فصوله ، ونضارة أبوابه ، كما يتحلى بصفوة الأقوال ، ونتاج الأجيال ، وروائع الأمثال ، وبدائع الأشعار .

ومن نصوص الكتاب ما يمثل هذا الجانب الفني قوله في "مجير أم عامر" وهو من نخبة الأمثال السائرة التي تضرب للمحسن لمكافأة بالإساءة يقول "وأصل هذا المثل ، أن قوماً خرجوا للصيد في يوم حار ، فطردوا ضبعاً حتى ألجئوها إلى خباء أعرابي ، فاقتحمه ، فأجارها الأعرابي بينها وبينهم ، وجعل يطعمها ويسقيها اللبن ، وبقيت عنده بخير حال ، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ، وشربت دمه ، ومضت هاربة :

وجاء ابن عم له يطلبه ، فإذا هو بقير ، والتفت إلى موضوع الضبع فلم يرها ، فقال : هي التي فعلت فعلتها ، والله لأجدنها ، وأخذ كنانته ، اقتفى أثرها حتى أدركها ورماها فقتلها (١٣) .

(١١) الثعالبي : المبهج ، (مصر) مطبعة النجاح ، ١٩٠٤م ، ص/٤٣ – ٤٤ .

(١٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ج/٢ ، ص/١٨٣ .

(١٣) نفس المصدر : – ص/٤٠١ – ٤٠٢ .

ومن خصائص هذا الكتاب أنه يبنى على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها ، ويكثر في النثر على ألسن الخاصة والعامة استعمالها كقولهم : غراب نوح ، ونار إبراهيم ، وذئب يوسف ، وعصا موسى ، وخاتم سليمان ، وحمار عزير ، وعدل أبو شروان ، وأيوان كسرى ، وثعابين مصر ، ونوم الفهد ، وقبح القرد وما إلى ذلك .

والكتاب يجمع الدقة والبراعة من أطرافه إذ يتحدث عن كل قضية من القضايا أو معنى من المعاني التي أوردها بالشرح والإبانة وذكر المناسبة الخاصة بها مع الاستشهاد بالشعر إذا لزم الأمر ، وكل ذلك بأسلوب مرن وعرض شيق ينطق برحابة فكر المؤلف ، وحسن طبعه ، ولطف ظرفه .

ومما لا شك فيه أن جداول معارف الثعالبي تدين لينبوع كتاب الله الغزير ، وقد اتخذه أبو منصور وسيلة لطرائق تعابيره ، وحجة يسند إليها في كثير من آرائه ، وهو يقتبس من أساليبه ويستشهد بتمثيلاته وتشبيهاته حتى في محاجاته الأصدقائية ، بل كثيراً ما يقرن مدلولها بمدلوله فيوفق بينهما توفيقاً متلازماً ، كقوله في "مرآة المروءات" (١٤) .

"الطعام قوام الأبدان ، ومادة الحياة ، ولا بد منه على كل الأحوال ، وكلما كان أنظف طبخاً ، وأحسن لوناً ، وأذكى رائحة ، وأطيب طعماً ، كان الطبع إليه أميل ، والهضم أجود ، والغذاء أكثر ، والقوة أبلغ ، والقدرة على أمور الدنيا والدين أكمل ، فمن المروءة تنظيمه ، وتحسينه ، وتجويده ، وتطييبه ، كيف لا ، والله عز ذكره يقول : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف الآية/٣٢) وقال أيضاً : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٧٢) .

أدرك الثعالبي في أسلوب القرآن متعة لأرجائه ، وبضاعة غير مزجاة لآماله ، وكيف لا وهو أسلوب كتاب أعلاه مثمر ، وأسفله مغدق ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تنتهى غرائبه ، ولا شك أن هذا الإعجاب يسوقه إلى

(١٤) الثعالبي : مرآة المروءات ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط/١ (بيروت) دار ابن حزم للطباعة والنشر ، ٢٠٠٤م ، ص/٢٨ .

الاستشهاد بنصوص القرآن والاقتباس من أساليبه الغراء حتى يصوغ بها العقد الثمين من الكلام السلس العذب الذي يملك زمام القلب بأحسن الإيقاع ، وأعمق الإشارات ، وأفصح الدلالات كقوله في تقبيح الغنى والمال :

قال الله عز وجل : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ (سورة العلق الآيتان/٦ – ٧) وقال تعالى : ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (سورة التغابن الآية/١٥) ، وكان يقال : "الغنى يورث البطر ، ويقرع باب جهنم ، ويقال : "المال ملول ميال ، وطبعه طبع الصبي ، لا يوقف على وقت رضاه أو سخطه ، وقد يكون مال المرء سبب حتفه كما يذبح الطاؤوس لحسن ريشه ، ويصاد الثعلب من أجل وبره ، ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي .

ألم تر أن المال يهلك ربه إذا جم آتيه ، وسد طريقه (١٥)

والمتأمل في نثر الثعالبي يجد أن التأنق الإنشائي والتميق الصناعي يغلب عليه حينا بعد حين ، ولعل كتابه "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" أبلغ تتميقاً بالتسجيع وفنون البديع حيث أحدث فيه المؤلف أسلوباً اصطنع به لوحات خيالية متمثلة لموضوعات الكتاب المستوردة من أساطير متوارثة ليس أساسها إلا الخيال الذي يلعب دوراً هاماً في سرد وقائعها وطرائق تعابيرها ، ومن نبذة الكتاب ما يقص فيها الثعالبي قصة الإسفندياذ في منزل الساحرة بقوله :

"ثم إنه رأى ربعاً خصباً ، وروضاً وغديراً ، وأشجاراً كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، فنزل في ظل شجرة ملتفة الأغصان بالورق على غدير كأن ماءه إذا صافحته ، الريح تشنيج ذيل القرطق الأزرق ، وشكل فرسه ، وافترش غاشيته ، وبسط سفرته ، وحل زكرته ، وأخذ الطنبور فنقره ، واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : إلى متى تترامى المفاوز والجبال بي ، وتنبو الأوطان والأوطار عني ، حتى متى خوض الحروب ومعاناة الخطوب ؟ وأين السرور بوجوه الحسان ومغازلة الغزلان ؟ وإن الذي أنزلني هذا المكان الذي يحكى الجنان ، قادر على أن يقر عيني بجارية وسيمة جسيمة ، تسرني بطلعتها ، وتؤنسني بمساعدتها ، وذلك بمرأى

(١٥) الثعالبي : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، تحقيق شاكر العاشور ، الجمهورية العراقية ، إحياء التراث الإسلامي ، ط/١ ، ١٩٧١م ص/٩٤ – ٩٥ .

ومسمع من الساحرة ، فقالت : قد وقع الأسد في الحبالة ، وجاءتني الغنيمة ، فلم تلبث أن برزت في صورة جارية ، كأنها فلقة قمر على برج فضة ، وعليها من الحلى والحلل ما يروق ويشوق" (١٦) .

وقد فاق إقبال الثعالبي على المنحى الصناعي الإنشائي في "يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر" حيث ترجم لأشهر أعلام عصره من الشعراء والمغمورين في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً ، فلم يقتصر في ذكرهم على الأخبار المقتضبة والملاحظات العارضة ، وإنما تعمد على الطنطنة اللفظية وتنميق الإنشاء في الإطراء بصنيعهم الأدبي في كل حين وآن ، ولعل ترجمة الثعالبي لأبي فراس الحمداني تعطي صورة عما سبق إليه القول :

"كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلا ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشهر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : "بدئ الشعر بملك وختم بملك" يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبرى لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً" (١٧) .

ويلجأ تارة إلى كثرة التشبيهات والاستعارات والمترادفات كقوله في ترجمة المتنبي : "نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه" (١٨) .

---

(١٦) الثعالبي : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، تحقيق : زوتنبرك ، (باريس) ١٩٠٠م ، بالأوفسيت (طهران) ١٩٦٣م ، ص/٣١٣ – ٣١٤ .

(١٧) يتيمة الدهر : ج/١ ، ص/٥٧ .

(١٨) نفس المصدر : ج/١ ، ص/١٣٩ .

وقد أودع الثعالبي بعض كتبه الأساليب البلاغية مثل "سحر البلاغة وسر البراعة" الذي ضمنه أفضل ما خطه بلغاء النثر ، وأمراء الشعر من نصوص وأشعار وطرائف ونكت ، ومخاطبات ومحاورات ، فهذا الكتاب إن دل على شئ فإنما يدل على تضلع صاحبه من الأساليب البلاغية وحسن عرضه بحسب ما تقتضيه المناسبة والمقال (١٩) .

ومما يلاحظ أن الثعالبي كثير الأخذ من كتب السابقين ، يقتبس من آثارهم ، وينقل مواضع مختلفة من أعمالهم ، مما جعله يتعرض لانتقاد العائبين وألسنة النقاد الطاعنين على مر العصور وكر الزمان ، فالواقع أن الثعالبي لم يكن في كتبه عبارة عن مجرد جمع بل إن صنيعه في انتقاء النصوص المقتبسة وعملية التبصر فيها قد كلفته جهداً إضافياً وكدحاً طويلاً شاقاً حتى استطاع أن يصوغها صيغة ممتعة معجبة ، يخلطها ببدائع عصره مضيفاً إليها طراوة الحداثة ، وحلاوة الجدة حيث يبوب لها ، ويقسم مادته على معان كثيرة ، ويمثل هذا النوع من التأليف أغلب كتب الثعالبي منها "الإعجاز والإيجاز" و "تحسين القبيح وتقبيح الحسن" و "الاقتباس من القرآن الكريم" وما إلى ذلك .

ونخرج من كل ما سبق أن الثعالبي له دور فعال في تطوير النثر الفني ، وهو ناثر بليغ على أسلوب أهل عصره الذي له ملكة نادرة في الكتابة ، والتأنق فيها ، واختيار البديع في ألوانه المتشعبة ، والتعمد على السجع ، واختيار الألفاظ الجادة ، والمعاني الدقيقة ، والصور الأنيقة ، وترديد المعنى الواحد بأشكال شتى وصيغ مختلفة ، والاستشهاد بأسلوب القرآن وآي الذكر الحكيم ، وأساليب النبي ﷺ ، وجوامع كلمه ، وروائع تعابيره ، فكل ذلك دليل صارم على نضج فكر الثعالبي وسعة خبرته ، وطول باعه في التصنيف والتأليف الذي لا ينازع فيه اثنان .

---

(١٩) الثعالبي : الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب ، ط/١ ، تحقيق ونشر : دار الصحابة للتراث بطنطا ، ١٩٩٢م ، ص/٧ .

◆◆◆◆

أعلام الأمـــة :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

وجهوده في الفكر والدعوة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

تعريب : الأخ محمد خالد الباندوي الندوي

يعرف كل من يتابع التاريخ الإسلامي عبر العصور أن المسلمين كانوا إلى القرن السادس الهجري أكثر من غيرهم علماً وقوة وحضارة وعمراناً ، لا يدانيهم في ذلك شعب من الشعوب الأخرى ، فليس عندهم أي تفريق بين الدنيا والدين ، لذلك أبلوا بلاء حسناً في نشر العلوم والمعارف الثقافية وخاصة في العلوم التي ترتقي بها الحياة الإنسانية فأبدعوا وتفننوا وأنفقوا كل طاقاتهم لتوسيع نطاق العلم والمعرفة فازدهرت الثقافات وارتقت الحضارات ، ولكن كل ذلك في ظل الوصاية الدينية ورجال الدين ، وكيف لا يكون ذلك فإن الإسلام انطلق من أول يومه مرغباً في العلم ومحرضاً على ازدياد المعرفة بحيث أعلى مكانة القلم بالوحي الأول على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات/٣ – ٥) ، فقد رعى الإسلام العلم وأهله وركز عنايته البالغة على رفع مكانته وإحلال عظمته في النفوس يندر نظيرها في أي ديانة أخرى .

فأما المسيحية التي تدعي التسامح والعدالة الاجتماعية وإن كانت أوسع الديانات العالمية لكنها طبعت على معاداة العلم والمعرفة لأنها حرمت على أتباعها اكتساب العلم والتعلم واعتبرته ذنباً لا يغتفر ، وجرت بينها وبين أهل الإسلام بين فينة وأخرى معارك وحروب دامية إلا أن الانتصار دام للمسلمين في كل معركة .

ولكن بدأت الأوضاع تتغير ، والظروف تتبدل ، وظهر في المسلمين الفتور والتكاسل والانزواء عن المجالات العلمية في وقت أدركت النصرانية

فيه أهمية العلم ، ودوره القيادي للتقدم في المجالات الحديثة المكتشفة ، وإن كانت الكنيسة خالفت من دعا إلى اكتساب العلم بادي ذي بدء إلا أن جهودها باءت بالفشل ورجعت بالخيبة حتى استلم مقاودها رجال العلم الحديث كما قال محمد إقبال شاعر الإسلام : تحررت أخيراً الدولة من رق الكنيسة الجائرة ، وعبوديتها المذللة بعد مدة طويلة ، وانسحبت الكنيسة عن المعرفة خائبة خاسرة لم تغن عنها بما تتمتع به من الإجلال والتقدير .

وجاء في وصية لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٧٠هـ) الذي انهزم في هجومه على تيونس ، واغتيل في مصر ، قبل أن وافاه أجله قال : لقد بذلنا جميع ما في وسعنا للظفر والانتصار على المسلمين ، وطالت عليهم الحملات الصليبية ، ولم يعد ذلك كله علينا لا بالخسارة والخيبة ، واعترف بأننا لن نستطيع القضاء على هذا الدين إلا بتغيير العقيدة وبحرب العقيدة التي قام بها هذا الدين ، فالمسلمون أمة لا تقهر ، ولن تقهر إلا بأن نبذر بينهم بذور الشقاق والفرقة .

بعد فترة قصيرة اتصل ريمان للو (Raman Lull) (١٢٣٢م – ١٣١٠م) وروجر بيكان (Roger Bacon) (١٢١٤م – ١٢٩٤م) بالبابا وطلبا منه أن يأذن لهما بالحصول على العلوم الإسلامية وكان البابا متردداً في ذلك إلا أنه إذا علم أنه يصب في صالح الديانة المسيحية ويعين على تغيير طبايع المسلمين الإسلامية وتأثير أذهانهم بالحضارة المسيحية وبسط السيطرة عليهم فأذن بعد نقاش طويل لاكتساب العلوم الإسلامية وكان أهل أوربا يتعلمون العلوم الإسلامية سراً في ديار الأندلس قبل صدور إذن من البابا ونقلوا بعض الكتب الإسلامية إلى اللغات الأوربية ولكن لما صدر منه الإذن العام للحصول على العلوم الإسلامية فأقبلت النفوس عليها وتوسعت العلوم والمعارف بنطاق أوسع .

بدأ إنشاء الجامعات والمعاهد العلمية في البلدان الأوربية في القرن التاسع عشر الميلادي وحدث انقلاب علمي هائل في القرن الخامس عشر الميلادي حينما أنشئت فيها المطابع ونقلت الثروة الإسلامية العلمية من القسطنطينية والأندلس الإسلامية إلى أوربا وأحرزت بفضلها الرقي المادي والعلمي مما نلاحظ آثاره في القرن السادس والسابع الميلادي وتغلبت أوربا

بفضلها على البلدان الإسلامية .

إذا قمنا باستعراض تاريخ العالم والحكومات في إقبالها وسقوطها نجد أن الشعب المفتوح يتأثر بالشعب الفاتح في حضارته وثقافته وطقوسه الدينية وطبقاً لهذه القاعدة الأساسية الثابتة لما بسط المسلمون السيطرة على العالم وتقدموا في الحضارة والرقي المادي كان لهم النفوذ والتأثير في نفوس الآخرين وانعكست تعاليمهم وعاداتهم الإسلامية في أتباع الديانات الأخرى ولكن لما طوي بساطهم وأفلت الزمام من أيديهم إلى أتباع النصرانية فأصبحت الحضارة النصرانية واليهودية تسود جميع المجالات الإنسانية وتعد معياراً وحيداً للفضيلة .

تستعمل كلمة "الحضارة والثقافة" في سياق واحد ومعنى واحد ، ويعتبرهما بعض الناس مترادفتين ، ولكن أصحاب اللغة الأقحاح يفرقون بينهما ، فالثقافة عندهم تعبير عن النظريات العلمية والفلسفات والأفكار والتجريات ، وتستمد الثقافة أصولها ومبادءها الأساسية من الفلسفات المعاصرة والنظريات العلمية والإنتاجات والمخترعات للعقل البشري التي يعهدها الإنسان في مختلف مراحل حياته حتى تطلق عليها كلمة "الحضارة" وتتكون "الحضارة" من أربعة عناصر رئيسية :

١. الوسائل الاقتصادية .
٢. النظم السياسية .
٣. المبادئ الأخلاقية .
٤. تطور العلم .

ويرجع تطور تاريخ الثقافة إلى وجود الإنسان واستقراره في الأرض ، وهو مربوط بعضه ببعض من بدايته إلى نهايته ، يتقدم ويتطور في كل عصر ومصر .

الحضارة ا ليونانية والبيزنطية :

حينما ندرس تاريخ العلم والحضارة ، نجده يذكر اليونان وخدماتها العلمية بكلمات المدح والثناء ، وكيف لا ، وقد احتلت من العلم والفلسفة والأدب والشعر مكانة مرموقة ، وتربعت على عرش السيادة في مجال الحضارة والتمدن ، وكانت لها جولة وصولة وكان عمادها وبناء حضارتها على المادية البحتة – كما اعترف أصحاب التاريخ في أوربا – فقد عمت

وطغت في أرجائها اللامبالاة في الشعائر والأمور الدينية ، وتسرب إليها الضعف والانحطاط في الدين والأخلاق ، وغلب عليهم اللهو ، والشوق الزائد إلى اللعب – وذكر العلامة أبو الحسن علي الحسن الندوي – أسباب تدهور اليونان ، وحصرها في أربعة :

١. "الإيمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس .
٢. قلة الدين والخشوع .
٣. شدة الاعتداد بالحياة ، والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها .
٤. النزعة الوطنية .

ثم قال : ويمكن أن نحصر هذه المظاهر المتشتتة بكلمة مفردة هي (المادية) (١) فافسدتهم هذه النظرية المادية وأوجدت نقصاً في سلوكياتهم وأقدارهم الاجتماعية ، وقيمهم الخلقية ، وجعلت الانسياق وراء شهوة النفس ، والإخلاد إلى الراحة والدعة والتمتع برغد العيش ولذائذ الحياة رمزاً للحرية ، وكمالاً للعقل والعلم ، وتبعتها الدولة البيزنطية حذو النعل بالنعل ، حتى أصبحت الحضارة البيزنطية نسخة جديدة طبق الأصل من الحضارة اليونانية الوثنية الغارقة في الهزل واللهو ، لأن أتباعها تقلدوا اليونان في مجال القوة العسكرية والحربية ، وسعة نفوذهم في الأرض ، بل فاقوا وسبقوا اليونان في أكثر المظاهر للحياة الإنسانية ، حتى بلغ منهم تمجيد القوة والخضوع لأهلها إلى حد العظمة والتقديس كأنها شعائر دينية ، وقصدوا من أول يومهم إبعاد تصور الآلهة وقدسيتهم الروحية عن ساحة الحكم والسياسية ، فلم يبق لهم من الديانة إلا مظاهر جوفاء ، وأعراف خالية من الروح الدينية .

يقول سيسرو (Cicero) :

لما كان الممثلون ينشدون في دور التمثيل أبياتاً معناها أن الآلهة لا دخل لها في أمور الدنيا يصغى إليها ا لناس ويسمعونها بكل رغبة" (٢) .

ويذكر العلامة الندوي ما آل إليه الأمر بسبب الانحطاط الخلقي في عهد الديمقراطية الرومية :

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٩٢ .

(٢) أيضاً : ١٩٩ .

"وفي نهاية دور الجمهورية سال بالروم سيل الانحطاط الخلقي والبهيمية ، وفاض بحر الترف في العيش والبذخ فيضاناً عظيماً غاص فيه الروم إلى القاع ، وسالت فيه النظم الأخلاقية التي كانت الروم معروفين بها كالغناء ، وتزعزع البناء الاجتماعي حتى كاد ينهدم" (٣) .

وأما الحضارة الفارسية فإنها لا تستحق بما فيها من المعايب والمثالب أن تسمى "حضارة" رغم أنها ضارعت الدولة البيزنطية تمدناً وعمراناً ، وكانت تشترك معها في القيادة العالمية وإدارة أمور الحياة الإنسانية إلا أنها بعيدة أبعد ما تكون من النظام الاجتماعي والأخلاقي وتعد المرأة تحت حكمها أرذل وأخس من البهائم والدواب ، حتى أصبحت مباحة معروضة لكل فرد دون أي حاجز للعقل والشريعة ، وصارت عفتها وطهارتها عرضة للمشاغبين يعبث بها العابثون ، ويستمتع بها المفسدون كأنها ملك مشاع ، فتولد من ذلك الشذوذ الجنسي ، وطغت موجة الشهوانية الجارفة حتى امحت الفروق ، وغابت الارتباطات الأسرية فلا يعرف الآباء أبناءهم ، ولا الأبناء آباءهم ، وفقدت الحرية الشخصية حتى لا يكاد يقدر أحد على التصرف في ملكه ، وغرقوا في عبادة النار والشرك البواح ، وتغلبت الملوكية حتى جعلت الدولة خاضعة لشهواتها ، وتابعة لأحكامها ومرضاتها ، فإذا لم يكن هناك من يرث الحكم سوى الطفل الصغير السن إلا ويجعله حاكماً عليهم ، ومن العجيب أنهم مع ما عليهم من التدهور والإفلاس الشائن في الاجتماع والسياسة يعدون أنفسهم أفضل الشعوب في العالم .

وملخص القول : أن سفينة الحضارة وقعت في مأزق الانحطاط ، وكانت في طريقها إلى الانتحار ، حيث لا يرجى خلاصها من البوار والدمار ، أو كادت تنزلق في هاوية سحيقة لن يرجع منها ساقطها ، إذ طلعت شمس الإسلام والنبوة المحمدية المشرقة ، وهبت نفحات الإيمان واليقين ، وأمطرت سحب الحضارة العادلة السمحة النقية وابلاً سكباً اهتزت بفضله الأرض و ربت ، وحل فصل الربيع للإنسانية والحضارة ، وتضوء العالم بضياء من العلم والمعرفة ، وانقلبت المقاييس القديمة والمعايير البالية ، وحلت محلها

(٣) أيضاً : ١٩٧ .

أخرى صالحة عادلة .

الحضارة الإسلامية :

أسلفنا القول أن الحضارة تتشكل من أربعة عناصر :

١. الوسائل الاقتصادية .
٢. النظم السياسية .
٣. الأقدار والقيم الخلقية .
٤. العلم وتطوره .

فقد جاء الإسلام بانقلاب شامل في هذه المجالات ، ووضع في أولوياته إصلاح ما طرأ على المجتمع من انحراف ، وإقامته على أصول ومبادئ صالحة ، فأعطى الضعفاء حقوقهم من العدل والحرية ، ومنح للمرأة كرامتها ، وأسبغ عليها رداء العز والاحترام ، ووضع كل شيء موضعه اللائق به ، والخطبة التي ارتجلها جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة أكبر دليل على الأخلاق العالية وأصدق تمثيل للدعوة المحمدية البيضاء .

وأما العلم وأهميته فقد أصبح القرآن منبعاً فياضاً ، منه يستقر العلم وبه يتدفق ، وأعلى مكانته بذكره في الآيات الأولى المنزلة ، وحرض الرسول – صلى الله عليه وسلم – على اكتسابه وتتجلى أهميته لديه بما فعله مع أسرى بدر حيث جعل فداءهم أن يعلم العالم القارئ من لا يعلم ولا يقرأ ، ولقن بعض أصحابه أن يتعلموا العبرانية وغيرها من اللغات المعاصرة .

وأكد الإسلام أهمية العلم وحرض على أخذه تحريضاً يندر نظيره بل لا يوجد عشر معشاره في أية ديانة أخرى ، فقد جاءت البعثة المحمدية نقطة انطلاق لنشر العلم والمعرفة ، وأسست له أصولاً وأسساً قام عليها صرح العلم وأبنيته الفخمة الشامخة ، حتى ملأ العالم كله نوراً وضياءً ، وكان مربوطاً بعظمة وقدسية الذات المقدس ، وقاد الركب العلمي على أسس متينة مستقيمة لكي لا تنحرف به الطرق ، ولا تتشعب عليه المسالك حيث قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (سورة العلق الآيات/١- ٤) ، ويسلم من التخبط خبط عشواء ، ويتجنب من الإساءة إليه .

وأما وضع النظام السياسي وتقرير أصوله فقد ضرب الإسلام بسهم

وافر في هذا المجال ، وأقام بعد هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة دولة إسلامية على أقوى أسس ، وأرسى قواعدها وأمتن أعمدتها ، وصمدت في وجه أقوى دول في عصرها ، نخرها الدهر ، وطالت عليها المدة ، وفقدت الأقدار الإنسانية التي تقويها وتطيل في عمرها ، داستها الدولة الإسلامية بأقدامها ، وقضى عليها بالزوال إلى الأبد ، واستمرت في النمو والانتشار ، وتوسيع نطاق النفوذ والحكم حتى أصبحت هي الحكومة الحاكمة الوحيدة ، لا تضارعها دولة أخرى في قوتها وجبروتها وسرعة نفوذها واتساعها فقال الخليفة العباسي هارون الرشيد وقد مرت عليه سحابة : "أمطرى حيث شئت ، فسيأتيني خراجك" .

استقر النظام الاقتصادي للإسلام بانتشار رقعة الدولة الإسلامية ، لأنه يبتني على نظام الزكاة والصدقات الذي هو بمثابة العظم الفقري من جسم الإنسان .

عني المسلمون منذ أول يومهم بالتعليم والبراعة والإتقان في العلوم الدنيوية السائدة بجانب اكتساب الكمال في العلوم الدينية ، ونذروا أوقاتهم لنشر جميع العلوم التي تساعد البشرية في حياتها دون أيما فصل وتفريق بين الدينية والدنيوية ، فنقلوا من العلوم اليونانية إلى العربية قسطاً كبيراً ، واستفادوا منه في تسيير الركب العلمي ، آخذين الاحتراز مما هو يجلب الضرر ، ونهلوا من هذه الينابيع العلمية دون أدنى غفلة وتكاسل وتعصب ، بل بكل جدية وحزم ، وبكل وعي وشعور ، فقامت المعاهد والمدارس العلمية ، وأقيمت المستشفيات والمارستانات ، وبدأت التجربة والاختبار ، والحق أن العلم الحديث نشأ بفضل جهود المسلمين ، وهم أول الواضعين لأصوله وقواعده التي تقدمت وظهرت بها اليوم الانجازات العلمية الهائلة في العالم .

وتحقق كل ذلك بفضل عناية المسلمين بجميع العلوم المفيدة والاستنارة بنور الإسلام ، وعدم التفريق بين الدنيا والدين ، فتطور العلم وانتشر في ظل التوجيهات الإسلامية ، ولكن أفلت منهم زمام القيادة في مجال العلوم الدنيوية المعاصرة ، وحدث منهم القصور والتهاون في التمسك بالمبادئ والأصول الدينية ، وعم الانحلال والتفكك ، وحل التفرق والتشتت ،

واضمحلت عروة السلطة وتفرقت كلمة المسلمين .

عهد الظلام في أوربا :

كان القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادي يعرف بعصر الظلام والجهالة في أوربا ، وأخذت أوربا كلها في تجالد وتقاتل وتناحر ، وحروب أهلية دامية ، وتسود عليها الجهالة والأمية المتفشية ، وكان التداوي ومعالجة الأمراض بالأدوية ممنوعاً محرماً عليهم من الكنيسة لأنها تخاف على سيادتها من انتشار العلم والمعرفة ، يقول رابرت بريفالت (Roberot Briffault) :

"لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً ، قد كان همجية ذلك العهد أشد هولاً وأفظع من همجية العهد القديم ، لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة، وبلغت أوجها في الماضي كإيطاليا ، وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخراب (٤) .

وكانت الحضارة الإسلامية في تلك الفترة من الزمان بلغت غايتها من رقي الحضارة والثقافة ، وكانت لها جولة وصولة في أرجاء المعمورة ، حتى دخلت في حياة الشعوب ، فتأثرت أوربا طبعاً بالحضارة الإسلامية ، حتى نشأت في أوربا ذاتها حركة تعد صنع التصاوير ، ونحت الحجارة خلاف الدين ، ولا تعتقد للأوثان قدسية وإجلالاً ، ودعمت هذه الحركة ملوك روما ، ولا شك أن هذه المحاولات والجهود المبذولة لمنع النحت وصنع الأصنام ليست إلا صدى لنداء التوحيد الذي دوى في جزيرة العرب .

الصراع بين المسلمين والمسحيين :

أصيب المسلمون بالزوال والانحطاط في القرن الحادي عشر المسيحي في وقت انتبهت أوربا من السبات العميق ، واكتحلت باليقظة ، وأخذت الجدية والنشاط في العلم والمعرفة فما مضت عليها خمسة قرون حتى طلعت شمسها على العالم ، وأخذت بناصية الأمم ، وخلفتهم في قيادة العالم .

وأوربا هذه هي التي واجهت هزيمة متتابعة في الحروب الصليبية ، وكسر جيوشها الأبطال المسلمون ، لكنها ما لبثت أن جمعت قوتها وضمت

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ٣٧ نقلاً عن Robert Briffault: The making of Humanity

إليه أطرافها وأنصارها وقصدت الهجوم على الديار المقدسة الإسلامية من الشام وفلسطين ، وظفرت بالانتصارات الباهرة ، وبسطت السيطرة على القدس الشريف ، وانهزم المسلمون أمام الجيوش الصليبية انهزاماً أحدث في نفوسهم الخوف والدهشة ، وبلغت بالجنود الأوربية الجرأة إلى بسط السيطرة على الحجاز ، إذ برز في تلك الفترة القاسية من أفق العالم الإسلامي بطل من أبطاله ، ألا وهو السلطان عماد الدين الزنغي وأولاده ، فجمع المسلمون ما تفرق من قوتهم ، واستعدوا لمحاربتها تحت قيادة السلطان الزنغي ، وأذاقوا أوربا مرارة الحروب والهزيمة النكراء ، حتى قضت عليها حملات البطل السلطان صلاح الدين الأيوبي الشديدة القاسية ، .فاسترجع كرامة القدس ، وأعاد إلى فلسطين حريتها واستقلالها ، وطهرها من الأنجاس والأدناس .

وأجلبت أوربا بخيلها ورجلها لمواجهة هذه القوة الجديدة ، واتفقت جميع بلدانها تحت راية واحدة ضد المسلمين ، وشنوا الهجوم على الشام ، إلا أن المسلمين واجهوا هذه الحملة الصليبية بكل شجاعة وصمود ، وطالت بينهما الحروب إلى خمسة قرون حتى انتهت بالصلح و بالنصر المؤزر للمسلمين ، وبقيت لهم السيطرة على القدس وعلى المناطق الأخرى إلا قطعة صغيرة للمسيحيين .

ولكن لما توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، دب إليهم اليأس ، وأخذهم التفرق فاستعدت القوات الصليبية للوثوب عليهم ، وتكالب التتار عليهم ودوخوا كثيراً من البلدان والمدن الإسلامية المتمدنة ، وذهبوا بما فيها من العمران والمعاهد والمراكز العلمية ، حتى برز أمامهم الملك المظفر سيف الدين قطز ، وأعادهم إلى دارهم ، ثم طوي بساطهم بيد الملك الظاهر بيبرس ، وأجلاهم من الشام ، ثم هداهم الله إلى الإسلام ، فأسلموا ، ولكن ليس فيهم قوة إدارة الحكم ، وإملاء الإرادة ، وشاء الله أن يقيض منهم من ينهض لقيادة العالم ، فبرز الأتراك من آل عثمان في القرن الثامن الهجري ، وكان منهم السلطان الغيور محمد الفاتح الذي هزم القوات الصليبية ، ومزقهم شر ممزق ، وفتح للمسلمين مدينة القسطنطينية ، وبقي لهم زمام القيادة ثلاثة قرون أو أكثر .

(يتبع)

أحمد عبد الغفور عطار

هو أول من قسم المعجمات العربية إلى أربع مدارس

بقلم : الأخ الأستاذ محمد عالمغير *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد تناولنا هذا الموضوع اعتباراً بأهمية التراث العربي لأننا نغفل عنه في الوقت الراهن ولا نهتم بالمعاجم القديمة نظراً إلى أنها لم يُتخذ ترتيبها حسب الأسلوب الجديد أي حروف الهجاء. أو لايقف كثير منّا على ترتيب موادها .فنرجو أن هذه الدراسة ستساعدنا في بحث الكلمات ومراجعتها إلى المصادر العربية من المعاجم ، قبل أن نخوض في الموضوع يجدر بنا أن نسلط أضواء موجزة على حياة العلامة عبد الغفور عطار .

هو أحمد بن عبد الغفور بن محمد نور بكو عطار (١) وأصله من البنغال بالهند وهاجر منها أسلافه وسكنوا مكة المكرمة (٢) أبصر الأديب اللغوي المؤرخ المحقق الشاعر السعودي أحمد عبد الغفور عطار النور عام ١٣٣٤هـ (٣) الموافق عام ١٩١٦م بمكة المكرمة ، ونشأ وترعرع فيها (٤)

---

* جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

(١) أدباء سعوديون لمصطفى إبراهيم حسين ، ص/٣١ .

(٢) عطار عميد الأدب لزهير محمد جميل كتبي ، ص/٢٢ .

(٣) ذيل الأعلام لأحمد العلاوة ، ص/٣٠ ، وأعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر للهجرة لمحمد علي مغربي ، ج/٤ ، ص/٤٣ .

(٤) الشيوعية والإسلام لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/١٠٢ .

وتلمذ عطار على علماء المسجد الحرام وأخذ منهم العلوم الشرعية ، ولم يتوقف شغفه بالعلم إلى هذا الحد بل أنه كان مولعا بالاستزادة منه والنهل من بحوره ، انتفع بالعلوم والفنون المختلفة من عباقر مصر مثل عباس محمود العقاد وطه حسين .

وكرس عطار حياته كلها للكتابة والتأليف وتحقيق المعاجم والقواميس اللغوية الكبيرة ، وحينما اشتد عليه المرض تم إدخاله في المستشفى بجدة ورغم ذلك فإنه لم يفترق عن صاحبيه : القلم والكتاب وقد لقي عطار جوار ربه عام ١٧ رجب ١٤١١هـ (٥) الموافق عام ١٩٩٠م .

وخلف الشيخ عطار لنا مؤلفات كثيرة في التاريخ والتراجم والكتب الإسلامية والأدب العربي واللغة ، وله قصب السبق في مجال تحقيق كتب التراث ، فكانت له فيه اليد الطولى والملكة الراسخة فلا يكاد يذكر الشيخ عطار إلا بتحقيقاته ، ولقد اجتمع فيه من صفات المحقق الناجح ما جعله في طليعة المحققين العرب ولقب بشيخ المحققين السعوديين (٦) كما قام بتحقيق الصحاح للجوهري وتهذيب الصحاح للزنجاني وليس في كلام العرب لابن خالويه وغيرها ، ولن يتسع المجال لنا أن نستوعب جميع أعماله هنا .

أحمد عبد الغفور عطار هو أول من قسم المعجمات العربية إلى أربع مدارس :

نود أن نشير إلى أن أحمد عبد الغفور عطار أول من سبق في عمل التقسيمات إلى المدارس المعجمية ، هذا مما جعل عطار يقول : "لعلى أول من قسم المعجمات العربية إلى مدارس معدودات" (٧) ومن الممكن أن نثبت

(٥) من أعلامنا لعبد العزيز بن صالح العسكري ، ص/٤٦ ، وأعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر للهجرة لمحمد علي مغربي ، ج/٤ ، ص/٥٥ ، وذيل الأعلام لأحمد العلاوة ، ص/٢٩ ، وإتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد المالح ، ص/٢٩ .

(٦) هذا اللقب أطلقته عليه مجلة المنهل ، المدينة المنورة ، العدد ٤٨٧ ، ٥٦ ، رمضان وشوال ١٤١١هـ ، مارس وأبريل ١٩٩١م ص/٨ .

(٧) الصحاح للجوهري ، ج/١ ، ق .

مكانته الأولوية من خلال العبارات التالية :

يقول عطار في "الصحاح" للجوهري : "وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) كنت بالمدينة المنورة ، ودار الحديث بمجلس العالم الفاضل السيد علي حافظ في المعجمات العربية وفي "تهذيب اللغة" للأزهري و "التكملة والذيل والصلة" للصغاني وفي "جمهرة اللغة" لابن دريد ، وعرضت على الحضور – وكانوا من أكابر أهل المدينة وعلمائها وأدبائها – رأيي في "مدارس المعجمات العربية" وعددهن ، فقال السيد علي حافظ : هذا شيء جديد أسمعه لأول مرة ولم أقرأه في كتاب أو صحيفة ، وأيده من حضروا ثم علم برأيي هذا الإمام اللغوي الشيخ عبد القدوس الأنصاري وسألني فأجبت فسُرَّ وهنأني وقال : هذا جديد مبتكر غير مسبوق إليه" (٨) هذه العبارات المذكورة تشير إلى أن عطار سبق إلى تقسيم المعجمات العربية ، كما أيد هذا قوله بنفسه : "ظهور رأيي في مدارس المعجمات على نطاق العالم العربي والإسلامي ومحافل الاستشراق والمعنيين بالعربية كما قد كان سنة ١٩٥٦م ، وكان رأيي في مدارس المعجمات وقسمها أول رأي في هذا السبيل وسبق ظهور هذا الرأي بخمس عشرة سنة ، أي ١٩٤١م" (٩) .

ويرى عطار أن "هذه المدارس أربع في رأينا إلا أن في وسعنا أن نجعل مرد أصولها إلى نبعين مختلفين وهي أربع لمن أراد التفصيل واثنان لمن أراد الإيجاز والإجمال ، هاتان المدرستان هما : مدرسة المعاني ومدرسة الألفاظ أما مدرسة المعاني فهي التي اتخذت معاجم ترتيبها حسب المعاني والموضوعات كالغريب المصنف لأبي عبيد والمخصص لابن سيده ، ويدخل في فصول هذه المدارس كل الرسائل والكتب اللغوية التي اتخذت المعاني وسيلتها في ذكر الكلمات" (١٠) .

(٨) المصدر السابق ، ج/١ ، ص/ ق .

(٩) المصدر السابق ، ج/١ ، ص/ق .

(١٠) مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/٩٣ .

أما مدرسة الألفاظ فهي التي بنت قواعدها على علم الأصوات اللغوية ورتبت المعاجم حسب الحروف التي تبتدئ بها أوائل الكلمات على اختلاف في ترتيب الحروف ، هذه المدارس اللغوية أربع ، وهي كما يلي بقدر من التفصيل .

الأولى : مدرسة الخليل صاحب كتاب "العين" المتوفى سنة ١٧٥هـ وتبعه في نهجه ابن دريد في "جمهرة اللغة" والأزهري في "تهذيب اللغة" وابن عباد في "المحيط" (١١) والقالي في "البارع في اللغة" ومواد هذه المعجمات مرتبة على حسب مخارج الحروف ابتداء بحرف العين .

الثانية : مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٤ – ٢٢٤هـ) .

ويذكر عطار هذه المدرسة قائلا : "قواعد هذه المدرسة بناء المعجم على المعاني والموضوعات وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب ، وكانت طريقة أبي عبيد من أولى المراحل التي بدأ فيها التأليف اللغوي ولكنه بدأ بكتب صغيرة ، كل كتاب يؤلف في موضوع مثل كتاب الخيل وكتاب اللبن وكتاب العسل وكتاب الذباب وكتاب الحشرات (١٢) .

واتبع طريقته كثير من المؤلفين القدماء مثل أبي الحسن الهنائي الأزدي – المعروف بكراع النمل – في كتابه "المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه" واتبعه ابن سيدة في "المخصص" وتوسع فيه كثير من المعاصرين مثل عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى في "الإفصاح" ، على سبيل المثال إذا نريد أن نبحث كلمة "الوجه" علينا أن نراجع إلى باب أعضاء البَدَن من الرأسِ إلى القَدَم (١٣) .

وذكر عطار عيوب هذه المدرسة بقوله : "ومن عيوب هذه المدرسة أن

(١١) المصدر السابق ، ص/٩٥ .

(١٢) المصدر السابق ، ص/٩٩ .

(١٣) معجم المنجد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزوي ، ص/٣١ .

كثيرا من الألفاظ تأتي لمعان كثيرة والباحث لا يعرف في أي أبواب ذكر مطلبه وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنسانا أم حيوانا أم نباتا بل هناك من الصفات ما يشترك فيه الكائن الحي والجماد" (١٤) .

الثالثة : مدرسة الجوهري (٣٢٢ – ٣٩٣هـ) .

هذه المدرسة تنتسب إلى الإمام المجدد إسماعيل بن حماد الجوهري الذي ابتكر منهجا في التأليف المعجمي قرّب اللغة إلى الباحثين ويسر لهم السبيل إلى الكلمة التي يقصدون إليها .

ونظام هذه المدرسة ترتيب المواد على حروف المعجم بإعتبار آخر الكلمة بدلا من أولها ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول ، والأول سماه بابا والثاني فصلا. فكلمة "بسط" يبحث عنها في باب الطاء لأنها آخر حرف فيها وتقع في فصل الباء لأنها مبدوءة بها (١٥) .

ومن أشهر أتباع هذه المدرسة الإمام محمد حسن الصغاني في معجماته المعلمات المشهورة "التكملة والذيل والصلة" و "معجم البحرين" و "العباب" والفيروزآبادي في "القاموس" وابن منظور في "اللسان" (١٦) .

الرابعة : مدرسة البرمكي (المتوفى ٤١١هـ) .

هذه المدرسة مرتبة على حسب الترتيب الألفبائي للمواد اللغوية أي على الحروف الهجائية مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع (١٧) .

ويقول عطار : "وطريقة البرمكي أنه أخذ من الصحاح كل باب وفصلِ الحرفَ الذي يريده ، ففي باب الهمزة أخذ منه فصل الهمزة ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء وفي فصل الهمزة رتبها على أوائل الحروف

(١٤) مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/١٠٠ .

(١٥) المصدر السابق ، ص/١٠١ .

(١٦) المصدر السابق ، ص/١٠٣ .

(١٧) المصدر السابق ، ص/١٠٤ .

مراعيا الحرف الثاني والثالث ثم انتقل إلى باب الباء وصنع فيه ما صنع في الهمزة حتى انتهى إلى آخر حرف في حروف الهجاء (١٨) .

هذه المدرسة هي التي اتبعها اللغويون في العصر الحاضر مثل الزمخشري في "أساس البلاغة" ثم ألفت عشرات المعجمات ، على هذا المنهج الذي صار أسلوب العصر الحاضر في تأليف المعجمات.على سبيل المثال المعجم الوسيط وغيرها .

هذه مساهمة عطار في تقسيم المدارس اللغوية وذكر رائدها ومنهجها وأتباعها وهي من أعماله الجليلة الجديرة بالثناء عليها ولاننساها .

آراء أحمد عبد الغفور عطار في اللغة العربية الفصحى :

"كان عطار يحاول مواكبة ومشاركة الحركة الأدبية واللغوية المزدهرة في مصر ولبنان والعراق وسوريا وكل البيئات السعودية المتعلمة وظهر في بيئة الحجاز شباب اهتم باللغة الفصحى تعلماً وتعليماً وبحثاً وعاصر ذلك الجيل بعض الباحثين في مصر ولبنان من الدعاة إلى العامية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وهيهات فقد تصدى لهذه الحركات شباب مثل عطار وحاولوا تفنيد مزاعم هذه الدعوات الهدامة ونددوا بها وبأصحابها بأسلوب رصين هادئ وجهود مستمرة لم تعرف الكلل ، ولولا تمكن هؤلاء الشباب من زمام الفصحى وأسرارها الذين استطاعوا أن يقفوا أمام هذه الحركات المتعددة المصلته أسلحتها على الفصحى (١٩) .

ونجد أحمد عبد الغفور عطار قد تناول قضايا التعريف باللغة الفصحى ومكانتها والذود عنها والرد على أعدائها خلال نشر أكثر من مقال وكتاب وحاول معالجة هذه المواقف في النقاط التالية .

مزايا اللغة الفصحى ذكرها عطار في صفحات كثيرة في مؤلفاته اللغوية وهي فيما يلي :

---

(١٨) المصدر السابق ، ص/١٠٥ .

(١٩) أعلام اللغة في المملكة العربية السعودية لمحمد حسن محمد بكلا ، ٣٠٥ .

الفصحى لغة القرآن (٢٠) ، الفصحى لغة العلوم والفنون والأدب الراقية (٢١) ، الفصحى لغة الإنسان لأنها لغة الحياة (٢٢) ، الفصحى سمحة مرنة غير صعبة (٢٣) ، الفصحى لغة شاعرية فنانة (٢٤) ، الفصحى جامعة الشعوب (٢٥) .

وتناول عطارموضوعات مختلفة في اللغة تحت عناوين متنوعة مثل ، اللغة الإنسانية والاهتمام بالعربية ، والعامية أقدم من الفصحى وليس من الصحيح أن نقول إن عدم تناول عطار هذا العلم بالتفصيل ناتج عن عدم اطلاعه عليه أو جهله به وفي الحقيقة صلة عطار بهذا العلم بارزة جلية في بعض الأفكار والعبارات المتفرقة في كتبه والتي منها :

"استخدام عطار مصطلح "فيلولوجية" (٢٦) ، واللغة جهاز من الرموز أو نسق من العلامات (٢٧) واللغة نظام من العلامات الدالة على أفكار الإنسان ومشاعره (٢٨) واللغة غير قائمة على الغريزة أو صادرة عنها" (٢٩) .

هذا غيض من فيض لمساهمة عطارالكبيرة في ترويج المعاجم وإثراء اللغة العربية ، وهذه العبارات وغيرها تدل على صلته الوثيقة بينه وبين الدراسات اللغوية الحديثة وتشير إلى معرفته الواسعة العميقة في مجالها وهذه لنا من الخزائن الثمينة للغاية في التراث العربي .

---

(٢٠) الزحف على لغة القرآن لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/١١ .

(٢١) وفاء العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر ، لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/١٤ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص/١٠ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص/٢٢ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص/٣٧ .

(٢٥) المصدر السابق ، ص/٤٤ .

(٢٦) الفصحى والعامية لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/٣ .

(٢٧) آراء في اللغة لأحمد عبد الغفور عطار ، ص/٩ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص/١٠ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص/١٥ .

صور وأوضـــاع :

من المجابهة إلى الدعوة والبلاغ

الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إن الوضع اليوم في العالم الإسلامي كله؛ من بنغلاديش وباكستان ، إلى مصر ، وسوريا؛ ماراً من ليبيا وتونس ، وضع مماثل ، رغم الثورات التي قلبت نظم الحكم التي دامت أكثر من ثلاثين سنة ، اضطهد فيها الدعاة والعلماء والعاملون على القيم الدينية والخلقية ، اضطهاداً لا مثيل له في التاريخ المعاصر ، في عهد الاستعمار الغربي ، وقد كانت الفترة السابقة فترة كبت الحقوق ، وقمع الحريات ، وفي المعسكر الاشتراكي الذي اشتمل على دول إسلامية فرض الإلحاد ، وفرضت القيود على تناول المواد الدينية حتى القرآن الكريم .

قد أفادت التقارير الصحفية أن الجنود السوفيت خلال غزو أفغانستان الذين كان معظمهم من الدول الإسلامية ، كان إقبالهم على القرآن الكريم الذي حرموا من إلقاء النظر عليه ، ومنعوا عن تلاوته مدة سبعين سنة ،ومن أراد أن يتلو القرآن أو يدرس الطلبة؛ كان يذهب إلى الغابات أو المقابر؛ ليختفي عن أنظار الرقباء ، وكانت عاقبة ذلك وخيمة ، ومارس الحكم الاشتراكي هذه السياسة القمعية في الاتحاد السوفيتي ، وفي الدول الإسلامية التي خضعت لها ومنها الدول العربية .

أما الغرب فقد أجبر الحكام الموالين له ، على وضع عقبات في سبيل التعليم الديني بفرض القيود على الحركة الإسلامية والمراكز الإسلامية ،رغم دعوى حرية التعبير والعمل ، وإطلاق الحرية في الحركات السياسية .

كانت هذه السياسة عالمية ، وكان السبب الرئيسي لها ، الخوف من الإسلام ، والاعتراف بصلاحيته لجذب القلوب .

وقد أفادت الأنباء الواردة من بنغلاديش بوقوع الاضطرابات في البلاد لموقف الحكومة المعاند للحركة الإسلامية ، واتهامها بالخيانة

والغدر والإرهاب ، وصدور حكم بالإعدام على عدد من القياديين الإسلاميين .

لا يختلف هذا الوضع عما يسود في الدول العربية التي قامت فيها الثورة ، واشترك في هذه الثورات؛ من ليبيا إلى سوريا ، عدد من القادة الذين كان انتماؤهم إلى الحركات الإسلامية التي فرض عليها الحظر في السابق ، وأجريت الانتخابات الحرة ، فظهر فيها الاتجاه الإسلامي كعنصر بارز ، لكن أبعد عن الاشتراك في النظام الجديد ، ولم يبعد عن الاشتراك والتمثيل في النظام السياسي الجديد؛ بل أدين واتهم بالإرهاب .

وذلك لطبيعة الفكرة الأوروبية الثائرة على الدين : "إن الدين لا صلة له بالسياسة ، وأن السياسة لا صلة لها بالدين" وأكثر من ذلك أن الإسلام دين الإرهاب والعنف ، وهي نتيجة للفكرة التي سيطرت على الغرب منذ القرون الوسطى بتأثير الحروب الصليبية .

وقد لقنت أوربا بمدارسها ونظمها ووسائلها التربوية كل من يتربى في معاقلها أخذ هذه الفكرة تلقيناً وإيماناً بها .

وقد كان من تقصير الدعاة إلى الإسلام والعاملين له أن يكافحوا هذه الفكرة ، وينشروا فكرة أن الإسلام دين الرحمة والعفو والأمن والسلام ، وإنه دين الإصلاح وصلاح النفس ، وأن تكون لهم مدارس للتعليم والتربية تلقن هذه الفكرة ، ويتخرج منها أجيال من المثقفين الذين ينتشرون في مجالات العمل من السياسة والاقتصاد وإدارة المدنية والأمن ، ويكون لهم رسوخ ودخل في سائر دوائر العمل الاجتماعي ، فإذا كان لهم مثل هذا النفوذ لما أمكن للقادة السياسيين المعدودين على الأنامل من المرتزقة والوكلاء أن يفرضوا على الشعب أفكارهم المغايرة لرغبات الشعب المسلم ، وينفذوا مخططات القادة من خارج البلاد ، ويخدموا مصالحهم وينفذوا ما يملى عليهم من إجراءات .

إن الحاجة اليوم هي بث الوعي الإيماني في النفوس ، والشعور بأن النظام السياسي المفروض عليهم ، نظام مفروض عليهم من الخارج ، وإن التدخل الأجنبي المعادي للإسلام في نظم الدول الإسلامية هوالسبب الوحيد لمعاناة الشعب المسلم في كل بلد إسلامي ، وهذا التدخل يؤدي إلى كبت

الحريات المدنية، وإبعاد النفوس الطيبة المخلصة عن مواقع النفوذ فضلاً عن مواضع القيادة ، وقد أدركت العناصر الخارجية بخطر تنامي الشعور الإسلامي وانتشاره في مواقع العمل الهام في تركيا التي أحرزت تقدماً كبيراً في إقرار الأمن ورقي البلاد ، واجتنب الحكام المجابهة مع النظم السياسية الخارجية وقادوا البلاد بحكمة وهدوء وتعاون مع الغرب بحكم عضوية البلاد في الناتو .

لكن مجرد انتمائها إلى الإسلام وضع عقبات في سبيل انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي ، وكانت الكنيسة أكثر تحمُّساً وحرارة في هذا السبيل ، ثم نشأت في البلاد حركة ضد النظام لعناوين وأعذار مختلفة ، والآن اتسعت دائرة هذه المعارضة وانضم إليها بعض المخدوعين ، ومن المثقفين الغربيين في مختلف دوائر النظام ، ويخشى أن ينقلب الوضع في البلاد ، وتحدث تفرقة بين مختلف الطوائف .

إن مسئولية الحركات الإسلامية في مثل هذا الوضع أن تبتعد عن موقف المجابهة لتجنُّب الإجراءات القاسية ، ومنع فرض القيود على العمل الإسلامي ، ومواصلة عمل الدعوة ، وتشكيل الذهن ، وإزالة المخاوف من النفوس بالنسبة للإسلام والعاملين للإسلام ، وقد أشار إلى ذلك أحد أصحاب الفكر الإسلامي فيقول :

" ليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بهيِّن ، فليست رسالتها ومهمّتها قلب نظام فقط ، أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر ، ونظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر ، ولا نشر الثقافة والعلم ، ومكافحة الأمية ، والجهل، أو معالجة البطالة والتعطل ، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية ، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبا ، وفي الشرق ، وإنما هي دعوة الإسلام التي تشمل العقيدة ، والأخلاق ، والأعمال ، والسياسة ، والعبادة ، والسلوك الفردي والاجتماعي ، وتتناول العقل ، والقلب ، والروح ، والجسم ، وتعتمد على تغيير عميق في القلب ، والنفسية ، والعقيدة ، والعقلية ، وتتبع من القلب ، قبل أن تتبع من قلم ،، أو صحيفة كتاب ، أو منصة خطاب ، وتنفذ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع" .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(آل عمران : ٧١ – ٢٠٠)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل :

قال الله تعالى : ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٤٢) .

ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٩٩) .

والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم :

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٥٧) .

إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً :

هذه خيانة ، قال الله تعالى : ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة البقرة الآية/٤١) .

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون :

صدر عن بني إسرائيل الذين قالوا .

وإذ أخذنا ميثاق النبيين :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٧) .

قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل :

قال الله تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ

مِن رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٣٦) .

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم :

هم اليهود .

أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس :

قال الله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة الآية/٧٨) .

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون :

التضحية والإيثار ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٧٣) .

كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل :

قال الله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (سورة النساء الآية/١٦٠) .

وقال تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٤٦) .

إن أول بيت وضع للناس :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٥) .

فيه آيات بينات مقام إبراهيم :

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٦٧) .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا حق تقاته :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التغابن الآية/٩) .

واعتصموا بحبل الله :

طرق التقوى .

فألف بين قلوبكم :

قال الله عز وجل : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال الآية/٦٣) .

فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٩١) .

كنتم خير أمة أخرجت للناس :

دليل بعثة الأمة النبوية .

ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم :

قال الله عز وجل : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة الحج الآيتان/٥٦ – ٥٧) .

لن يضروكم إلا أذى :

قال الله تعالى : ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٨٦) .

وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين :

فيها إيثار النفس .

ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين :

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (سورة الإسراء الآية/٥٨) .

يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة :

أوامر إلهية للإيثار والتضحية .

والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله .... :

هي هذه الآية لصلاة التوبة .

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين :

البيان ما كان بيناً بنفسه ، والهدى خفي ، والموعظة أخفى منه ، والبيان هو الإعلان .

ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها :

قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (سورة الشورى الآية/٣٠) .

فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا :

بسبب تقدير الدين واحترامه .

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب :

نكتة قرآنية : ينشأ الفشل من عدم الإيثار .

ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه :

قال الله تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة الأنفال الآية/٤٣) وقال : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال الآية/٤٨) .

لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم :

قال الله تعالى : ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد الآية/٢٣) .

وإن يخذلكم ، فمن ذا الذي ينصركم من بعده :

ورد قول الله هذا على سبيل الطعن في رماة أحد .

لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم :

بشرى استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام الواردة ذكره في سورة البقرة بقوله : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٩) .

قل هو من عند أنفسكم :

قال الله تعالى . ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ❖ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (سورة آل عمران الآيتان/٧٨ – ٧٩) .

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله :

قال الله تعالى : ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٥٤) .

ليطلعكم على الغيب :

إنما كان الغيب هو علم هزيمة أحد .

ولله ميراث السموات والأرض :

يتركه الميت فيبقى المال لله ، فيرثه المؤمنون .

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا :

أي بفعلهم الفاسد الباطل ، قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ❖ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يونس الآيتان/٨٩ – ٦٠) .

يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم :

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ❖ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الدخان الآيتان/٣٨ – ٣٩) وقال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٦) وقال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/١١٥) وقال : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (سورة القيامة الآية/٣٦) وقال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (سورة ص الآية/٢٧) .

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم :

دليل على إيثار النفس في سبيل الله عز وجل .

وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم :

قال الله تعالى : ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة النساء الآية/٧٤) .

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد :

قال تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ (سورة المؤمن الآية/٤) .

متاع قليل :

فيه إيثاراً للمال .

وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله :

هذه الآية خاصة بذكر بني إسرائيل .

(تم تفسير سورة آل عمران بحمد الله وعونه وتوفيقه) .

❖❖❖❖

إلى رحمة الله تعالى :

الأمير بندر بن محمد بن عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

أفادت الأنباء الواردة من المملكة العربية السعودية بوفاة الأمير بندر بن محمد بن عبد العزيز آل سعود يوم الأحد ٣/من شهر ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٥/من يناير ٢٠١٤م ، عن عمر يناهز ٧٩/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كما قد نعى الديوان الملكي السعودي الأمير بندر بن محمد بن عبد العزيز ، معلنا انتقاله إلى رحمة الله عن عمر يناهز ٧٩ سنة ، وأوضح بيان صدر عن الديوان الملكي أنه قد صُلي على الأمير الراحل بعد صلاة العصر في نفس ذلك اليوم بجامع الإمام تركي بن عبد الله ، في الرياض .

ونحن إذ نتقدم بالعزاء الخالص إلى أسرة الأمير والأسرة السعودية العزيزة ندعو الله سبحانه أن يتغمد الراحل الكريم بواسع رحمته ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم الجميع الصبر الجميل .

٢- فضيلة الشيخ عبد السلام الرحماني في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ عبد السلام الرحماني عضو هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، ووكيل جامعة سراج العلوم ببلدة بونديهار بمديرية بلرام فور ، وعضو جمعية أهل الحديث المركزية في الهند ، يوم الأربعاء ٢٥/من شهر صفر لعام ١٤٣٥هـ المصادف ٢٩/ديسمبر لعام ٢٠١٣م بعد أن ظل مريضاً طريح الفراش منذ عدة أعوام ، وذلك عن عمر يناهز ٧٥/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ عبد السلام الرحماني عالماً كبيراً وداعية شهيراً قضى حياته كلها في خدمة العلم والدين ، وله خدمات جليلة في مجال التأليف والتعليم ، والتبليغ والدعوة إلى الله ، وقد عُرف بالتواضع والإيثار والعمل الدؤوب ، والخير والنصح للجميع ، فكان محبباً بين أوساط العلماء وطلبة العلم والدين ولدى الجماهير المسلمة في كل مكان ، وقد خلف وراءه أفواجاً من تلاميذه المخلصين وأصدقائه المحبين وتراثاً من المؤلفات الدينية القيمة وبحوثه العلمية التي كان يعدها للمناسبات العلمية والمؤتمرات العالمية .

أذكر أنه أقام في بلدة فيجي في عام ١٩٨٤م كداعية وعالم ومدرس ، وأثناء ذلك كانت لي رحلة دعوية وتربوية إلى جزيرة فيجي من البحر الهادي لعمل الدعوة والتربية ، فكانت مناسبة دينية مفيدة للغاية ، كما أنه كان ذا علاقات مخلصة مع علماء المدارس الإسلامية في الهند من غير تمييز بين هذا وذاك ، وطالما كان يأتي إلى دار العلوم لندوة العلماء

ويلتقي الأساتذة ولا سيما سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رحمه الله تعالى .

غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وأنزل عليه شآبيب رحمته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

٣- الأستاذ السيد إبراهيم الحسني الندوي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ الكبير الأستاذ السيد إبراهيم بن محمد الياس الحسني الندوي (يرحمه الله تعالى) ، أحد أقرباء سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وسعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم ، يوم ٢٨/من شهر صفر ١٤٣٥هـ أول يناير لعام ٢٠١٤م ، عن عمر يناهز ٧٨عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان السيد إبراهيم الحسني من أسرة السادات الحسنية التي انتقلت من مدينة تونك بولاية راجستان إلى ولاية اترابرديش الهند ، وسكنت في مدينة رائ بريلي على بُعد ثمانين كيلو من مدينة لكهنؤ ، وقد درس في دار العلوم ندوة العلماء ، ثم سافر إلى بمبائي حيث اشتغل بوظيفة واستمر عليها حتى سنحت له فرصة السفر إلى الكويت كموظف في إحدى الشركات التجارية بمرتبة المدير ، وكان معروفاً بأداء المسئولية بغاية من الدقة فنال إعجاب رئيس الشركة ومن إليه ، وأصبح له معارف وأصدقاء لحسن أخلاقه ، وذكائه النادر ، ونصحه للناس ، ومساعدتهم في الأمور .

وتطورت أعمال الشركة وتوسع نطاقها بانهماكه في أداء المسئولية بإخلاص ، وكان قد عُرف في جميع الأوساط الدينية والدعوية في الكويت بصفاته المتميزة ، ومن أجل كونه عضوا من أسرة سماحة العلامة الندوي ، ثم إنه لم يفارقه أبداً حب ندوة العلماء وأساتذته ومحبيه فكان ينتهز الفرص للبحث عما يستطيع أن يخدم به ندوة العلماء وشئونها التعليمية والتربوية ، ومن أجل ذلك ظفر بالنجاح والثقة فكانت إقامته في الكويت نحو نصف قرن من الزمان قام خلال ذلك بالتعاون مع الجمعيات التعليمية الهندية التي كانت تزور الكويت بحثاً عن تعاون ودعم لبرامجها ومشاريعها .

ولما سنحت لي فرصة زيارة الكويت لأول مرة في عام ١٩٦٩م من القرن الميلادي المنصرم ، رحب بي وساعدني كثيراً في شئون التعريف بندوة العلماء إلى وجهاء الكويت وعلمائها ودعاتها كالشيخ عبد العزيز العلي المطوع وشقيقه الشيخ عبد الله العلي المطوع رحمهما الله تعالى ، ومعالي الشيخ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت ، وسعادة الشيخ عبد الله العقيل مدير الشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، ومعالي

الشيخ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الإسلامية كذلك ، وسعادة السيد الوزان وإخوانه ، والوجيه الفاضل السيد فهد أحمد البحر رحمه الله وإخوانه ، وكثير من أمثالهم ، ومع ذلك تتابعت رحلاتي إلى الكويت ، وفي كل مرة كان الأخ الكبير السيد إبراهيم الحسني يرحب بي ويرافقني إلى الجهات المطلوبة ، وطالما كان يلقاني ويستقبلني في مطار الكويت وعند مغادرتي إلى لكنهؤ كان يودعني في المطار بدعاء أمنية طيبة لسلامة الوصول إلى الوطن العزيز .

ذات مرة وكان موعد الحج قريباً طلب مني أن أسافر إلى الحرمين لأداء فريضة حج البدل عن جده الكريم السيد محمد إسحاق الحسني رحمه الله ، قلت له : نعم يسعدني أن أقوم بذلك بمشيئة الله تعالى ، وما هي إلا ساعات إذ هيأ لي تأشيرة الحج وتذكرة الطائرة ذهاباً وإياباً ، وبعض زاد سفر ، وأحمد الله سبحانه أنه قد يسرلي جميع المراحل وقمت بأداء مناسك الحج عن جده الكريم رحمه الله تعالى ، بفضل من الله تعالى وتوفيق منه ، ومع نهاية أعمال الحج والزيارة رجعت إلى الكويت ، وأخبرته بأداء الأمانة ففرح كثيراً ، وبعد أيام عديدة ودعني من الكويت إلى لكهنؤ عن طريق دهلي عاصمة الهند .

وقد أصيب الراحل الكريم بحوادث وفاة والده السيد محمد إلياس الحسني ، وشقيقه الكبير ووالدته العزيزة ، وبعد ذلك فوجئ بوفاة زوجته الكريمة و بنيته العزيزة ، وفي الأخير بوفاة صديقه الحميم السيد أحمد علي الحسني (شقيق زوجته) ثم بوفاة صديق والده المرحوم الأستاذ محمد مسلم الحسني ووفاة نجله العزيز السيد حسن الحسني ، وبعد تحمل هذه الصدمات كلها أصبح شبه مريض فأشار عليه الأطباء بالدخول في المستشفى حيث يتيسر له العلاج ، وظل مريضاً طريح الفراش رغم خروجه من المستشفيات ، وأذن الله له أن ينتقل إلى دار الآخرة و يسعد في الجنة والنعيم إن شاء الله تعالى ، وقد خلف وراءه نجله العزيز السيد يوسف الحسني ، وبنيتين ، حفظهم الله تعالى .

اللهم اجعله من عبادك الصالحين والمقبولين عندك ، وتغمده برحمتك الواسعة ومغفرتك الشاملة واغفر له جميع زلاته وتقصيراته وتقبل صالح أعماله واجعله ضمن من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

٤- رحيل السيد عشرت علي الصديقي إلى رحمة الله تعالى

في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر لعام ١٤٣٥هـ الموافق يوم الخميس ، الثاني من شهر يناير ٢٠١٤م انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ

السيد عشرت علي الصديقي أحد كبار الصحفيين ، ودعامة متنية من دعائم الصحافة الأردوية لعموم الهند ، وعضو الاتحاد العالمي للصحافة الهندية ، والمدير المشارك لصحيفة المستر جواهر لال نهرو الذي كان قد أصدرها باللغة الأردوية الراقية المتطورة قبل استقلال الهند بعام باسم (قومي آواز) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم قد بدأ رحلته الصحافية من صحيفة "هندوستان" الأسبوعية ، ثم التحق بصحافة حيدر آباد وسافر إليها على دعوة من جماعة الصحفيين الهادفين هناك وبالأخص من مدير جريدة "پيغام" وارتبط بعضويتها الصحفية ، وظل عليها مدة ، ثم ارتجع إلى لكنهؤ على دعوة من أسرة قومي آواز وعلى رأسها المستر جواهر لال نهرو ، وكان رئيس تحريرها يوم ذاك الأستاذ حياة الله الأنصاري رحمه الله .

كان الراحل الكريم مثالاً في الدين والخلق والالتزام بالفرائض والواجبات وتعاليم الإسلام الأخرى ، فكانت له صلة الحب والإعجاب بشخصية سماحة أستاذنا الكبير العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رحمه الله ، فكان يأتيه أكثر أيام الأسبوع ويجلس إليه ويتحدث معه ، فيجد من سماحته لطفاً ولفتة كريمة ، يتبادل معه الآراء حول السياسة المحلية والعالمية ، فلما توفي سماحة الإمام الندوي في ٣١/ديسمبر عام ١٩٩٩م بكى عليه أحر بكاء وحضر بنفسه إلى قرية سماحة العلامة مع حشد عظيم وصلى عليه وعاد إلى لكهنؤ حزيناً ، وأحياناً كان يجدد ذكرى العلامة الإمام بزيارة مقرّه في دار العلوم لندوة العلماء ولقاء سعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي .

كان من مجاهدي تحرير الهند من براثن الاستعمار ، وكانت له لقاءات مع زعماء التحرير : جواهر لال نهرو ومولانا أبو الكلام آزاد ، وكان معجباً بشخصية غاندي ، فانضم إلى حزب المؤتمر الهندي ، وبقي على ذلك إلى آخر حياته ونال جائزة رئيس الجمهورية الهندية (بدم شري) باعتباره أحد المجاهدين لتحرير البلاد ، فكان يُدعى في المناسبات القومية والمؤتمرات السياسية والندوات الصحيفة وما إلى ذلك .

قام بتقديم التعازي على وفاته كثير من الشخصيات البارزة السياسية والقومية والاجتماعية إلى أهله وذويه .

ونحن إذ نعزي ونتعزى ، ندعو الله تعالى أن يكرمه بواسع رحمته ويغفر زلاته ويكرمه بجنات ونعيم (كل شيئ هالك إلا وجهه) .

٥- الحاج علي أحمد خان إلى رحمة الله تعالى

في اليوم الثلاثين من شهر ديسمبر ٢٠١٣م الموافق ٢٦/من شهر صفر لعام ١٤٣٥هـ ارتحل إلى رحمة الله تعالى الرجل الخير والتاجر الكبير الحاج

علي أحمد خان من سكان براتاب غراه بولاية اترابرديش في مقره بمدينة لكهنؤ بمنطقة نرالا ناغر ، وكان مريضا منذ مدة إلا أنه كان يمارس أعماله التجارية وينجز جميع شئونه الدينية والاجتماعية ، ويعيش مع أسرته وأولاده في عافية وطمأنينة ، وقد فاجأه الأجل يوم الاثنين ٣٠/من ديسمبر ٢٠١٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان ذا ورع ودين وخير كبير ، عرفه الناس كشخص له ميزة بين الناس فكان معززا مبجلا في جميع أوساط الناس .

زوجته السيدة بروين خان قامت معه برحلة عالمية في سبيل الدعوة إلى الله للحصول على معلومات دينية وتربوية ودعوية وجغرافية ، وأوضاع العمل الإسلامي في العالم ، والاطلاع على طبائع الشعوب والأمم في مختلف بلدان العالم ، فألفت مذكراتها الدعوية لرحلاتها العالمية شرقا وغربا ، ونشرتها كشبه (مذكرات سائح في الشرق والغرب) وقد تقدمت بهذا الكتاب كهدية إلى زوجها الكريم قائلة :

"أهدي هذا الكتاب إلى رفيق حياتي المحترم الحاج علي أحمد خان ، الذي شجعني على العمل الإسلامي ، ومنحني عزيمة صادقة لنشر الدين والعمل لنشر تعاليم الدين في أوساط النساء بوجه خاص ، كما عملني أسلوب الحياة" .

تقبل الله عمله وغفر له تقصيراته وأسكنه في رحمة جناته ونعميه وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

Declaration of Ownership & Other Details

Form 4 Rule 8

Name of Paper	:	AL-BASS-EL-ISLAMI
Place of Publication	:	Lucknow
Periodicity of Publication	:	Monthly
Chief Editor	:	SAEED AL-AZAMI AL-NADWI
Nationality	:	Indian
Address	:	AL-BASS-EL-ISLAMI Taigore Marg, Lucknow (U.P)
Printer/Publisher	:	ATHAR HUSAIN
Nationality	:	Indian
Address	:	21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Ring Road Dubagga, Post Kakori, Lucknow
Ownership	:	Majlis Sahafat Wa Nashriyat, Lko

I, ATHAR HUSAIN, Printer/Publisher Declare that the above information is correct to the best of my knowledge and belief.

MARCH 2014

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! **حفظه الله تعالى للإسلام**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)